الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد

محاضرات في مقياس تاريخ

المغرب الإسلامي والأندلس

محاضرات مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس

تخصص تاريخ

من إعداد الدكتور: سمير مزرعي

السنة الجامعية 1445-1446هـ/ 2024-2025م

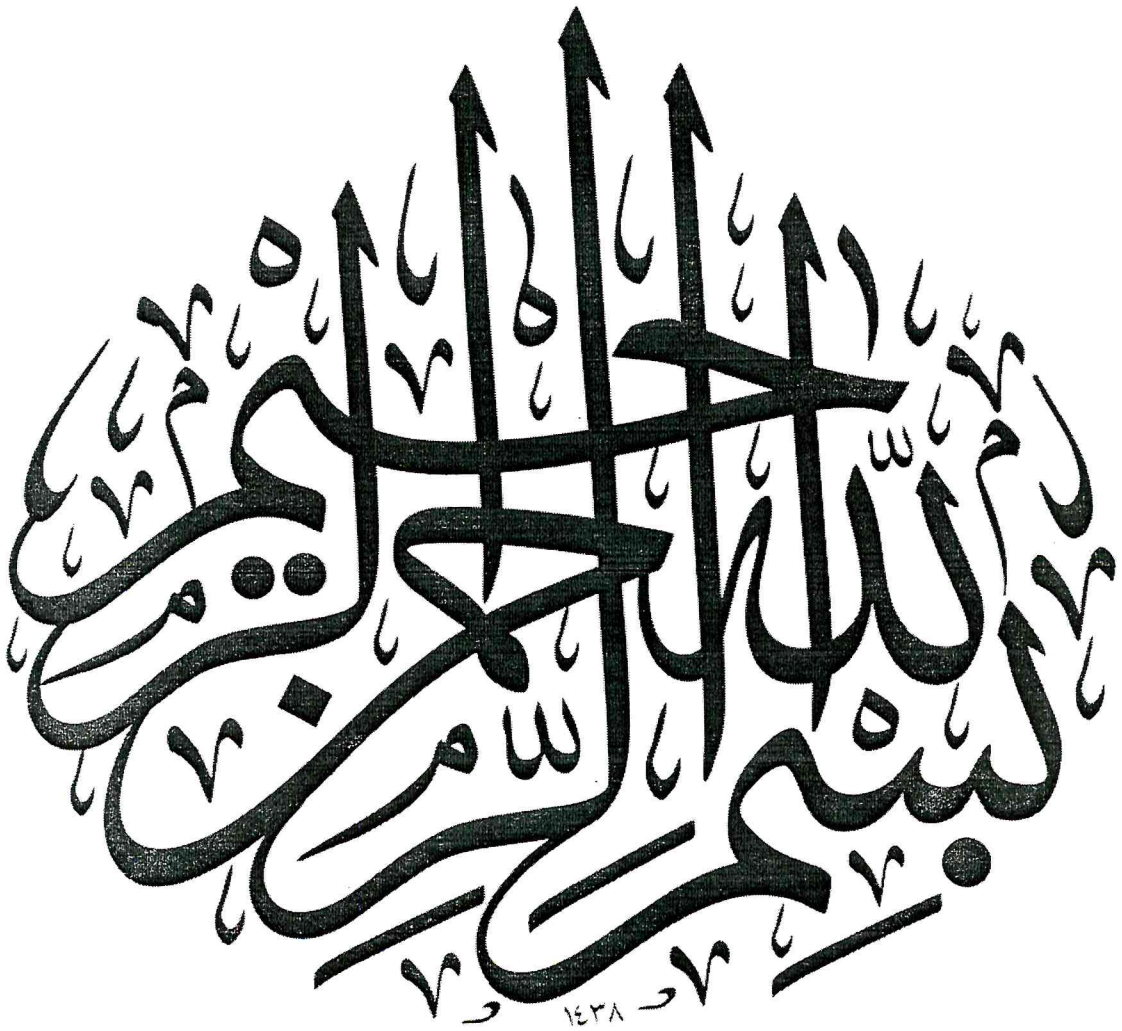
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المحتوى	الصفحة
المقدمة	3 -1
المحاضرة الأولى أوضاع بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي تمهيد: - 1- جغرافية بلاد المغرب: - 2- أصل سكان بلاد المغرب: - 3- الأجناس التي استوطنت بلاد المغرب: - 4- المغرب تحت الحكم الروماني والوندالي والبيزنطي (146 ق م-709م): خلاصة:	10 - 4
المحاضرة الثانية: فـــــتـــــح بـــــلاد المغـــرب (22-90هـ/643-709م) تمهيد: - 1- الغارات والحملات الإستطلاعية (21-48هـ/ 642-668م): - 2- الفتح المنظم (50-80هـ/670-699م): - 3- الفتح النهائي (80-89هـ/699-709م): خلاصة:	21 - 11
المحاضرة الثالثة: فـــــتـــــح الأنـــــدلـــــس (91-97هـ/710-716م تمهيد: - 1- دوافع المسلمين لفتح الأندلس:	30 - 22

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد

- 2- حملات فتح الأندلس: - 3- نتائج الفتح في الأندلس: - 4- تقييم النتائج: خلاصة:	
المحاضرة الرابعة: عصر الولاة (96-140هـ/715-757م) تمهيد: - 1- لمحة عامة حول عصر الولاة في المغرب الإسلامي: - 2- ثورات البربر: - أ-: ثورة ميسرة المطغري سنة 122هـ/ 740م: - ب-: معركة الأشراف سنة 123هـ/741م: - ج-: معركة بقدورة سنة 124هـ/ 742م: - د-: ثورة عكاشة بن أيوب الفزازي وعبد الواحد بن يزيذ الهواري: خلاصة:	40 - 31
المحاضرة الخامسة: الدولة الرستمية (160-296هـ/676-909م) تمهيد: - 1- انتشار دعوة الخوارج الإباضيين: - 2- تأسيس الدولة الرستمية: - 3- بناء تاهرت عاصمة الدولة الرستمية: - 4- نظام الحكم:	47 - 41

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد

- 5- الحياة الفكرية: خلاصة:	
المحاضرة السادسة: دولة الأدارسة في المغرب الأقصى (172-375هـ/788-985م) تمهيد: - 1- بداية تأسيس الدولة: - 2- علاقاتها مع الدولة المجاورة: - 3- مذهب الدولة الإدريسية: خلاصة:	52 - 48
المحاضرة السابعة دولة الأغالبة (184-296هـ/ 800-909م) تمهيد: -1- بداية تأسيس دولة الأغالبة: -2- الحياة الاجتماعية والسياسية: خلاصة:	57 - 53
المحاضرة الثامنة: الدولة الفاطمية (296-362/909-973) تمهيد: - 1- إختيار أبو عبد الله الشيعي(288-297هـ/901-910م): - 2- خلافة عبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م):	63 - 58

- 3- غزو مصر والإنتقال إليها: خلاصة:	
المحاضرة التاسعة: الدولة الزيرية (362_543هـ/972_1148م) تمهيد: - 1- نظرة عامة حول تأسيس دولة بني زيري في إفريقية: - 2- توسع دولة بني زيري وأهم حكامها: - 3- انفصال دولة بني زيري عن الدولة الفاطمية: - 4- دخول العرب الهلالية بلاد المغرب وسقوط الدولة الزيرية: خلاصة:	67 - 64
المحاضرة العاشرة الدولة الحمادية (408-547هـ/1018-1152م) -1- التركيبة الاجتماعية للدولة الحمادية: -2- الصراع المذهبي بين السنة والشيعة في الدولة الحمادية والدعوة للخلافة العباسية: 1.2 الصراع المذهبي بين السنة والشيعة: 2.2 الدعوة للخلافة العباسية: -3- الحياة العلمية: خلاصة:	71 - 68
المحاضرة الحادية عشر: الدولة المرابطية (430-541هـ/1038-1156م) تمهيد: - 1- بداية الدعوة المرابطية:	77 - 72

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية * جامعة أبي بكر بلقايد * المجلس العلمي

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد

- 2- عبد الله بن ياسين الزعيم الروحي لدولة المرابطين: - 3- بداية تأسيس الدولة المرابطية وتوسعها: خلاصة:	
المحاضرة الثانية عشر: الدولة الموحدية (541-668هـ/1156-1269م) تمهيد: - 1- بداية الدعوة الموحدية: - 2- تنظيمات ابن تومرت وتأسيس دار الهجرة: - 3- خلافة عبد المؤمن بن علي: - 4- أهم الأحداث في تاريخ الدولة الموحدية: خلاصة:	83 - 78
المحاضرة الثالثة عشر دولة بني مرين في المغرب الأقصى وبني حفص في المغرب الأدنى (592-957هـ/1196-1550) / (625-981هـ/1228-1573م) تمهيد: -1- الدولة المرينية في المغرب الأقصى (592-957هـ/1196-1550): خلاصة: -2- الدولة الحفصية في المغرب الأدنى (625-981هـ/1228-1573م): خلاصة:	88 - 84
المحاضرة الرابعة عشرة: الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م)	

المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد

تمهيد: - 1- ظروف وعوامل قيام الدولة الزيانية: - 2- إرساء أسس وقواعد الدولة الزيانية: - 3- الحدود الجغرافية للدولة الزيانية: - 4- أزهى فترات دولة بني زيان: خلاصة:	93 - 89
قائمة البيبليوغرافيا	101 - 94

المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد

مقدمـــة

تحتوي هذه المطبوعة على مجموعة من المحاضرات في التاريخ الإسلامي الوسيط المقدمة للسنة الثانية ليساس تخصص تاريخ، في مقياس سداسي تحت عنوان: "تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي والأندلس"، ونظرا لشساعة الإطار الزمني الذي يمتد من سنة 476م تاريخ "سقوط روما" وبداية تاريخ الوسيط إلى غاية 897هـ/1492 تاريخ "سقوط غرناطة" آخر معاقل المسلمين في الأندلس وبداية التاريخ الحديث، فإنه من الطبيعي أن تكون محاضرات المقياس مختصرة قدر الإمكان، لتمكين الطالب من إستيعاب أكبر قد من المعلومات التي تخص التاريخ الإسلامي الوسيط، إذ يكون الحديث عن تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في إحدى عشر محاضرة ضربا من الوهم ومهمة غاية في الصعوبة غير ممكنة التحقيق.

لقد ركزنا في محاضرات تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي والأندلس على خمسة محاور أساسية، مع مراعاة التسلسل الزمني الكرونولوجي للأحداث التاريخية الكبرى، وباعتبار أن التاريخ الإسلامي الوسيط شهد تأسيس الكثير من الدول المستقلة، فإن صفحات البحث لا تكفي لأن نتحدث عن تواريخ كل الدول، بل اقتصرنا على إدارج أهم الدول وأبرزها كأمثلة تاريخية حية، وقد اتبعنا في ذلك نظام التقسيم الجغرافي، حيث تحدثنا عن بعض الدول التي نشأت وتأسست في المغرب الأوسط، ثم أفردنا أمثلة عن الدول التي نشأت في المغرب الأدنى، دون أن ننسى الدول التي استوطنت المغرب الأقصى وتوسعت لتبلغ فيما بعد حدود الأندلس، ومن ضمن هذه المحاور نذكر ما يلي:

- **المحور الأول:** حاولنا أن نتحدث عن **"أوضاع بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي"**، حيث تطرقنا فيه إلى جغرافية بلاد المغرب وأصل سكانه، ومختلف الأجناس التي استوطنت عبر مختلف مراحله التاريخية، وهو محور نراه يمثل حجر الأساس في هذا المقياس، كونه يقدم من جهة لمحة عامة للطالب عن التريكبة الإجتماعية التي سنقوم بدراستها في معظم محاضراتنا، ومن جهة أخرى يكون مدخلا عاما لتاريخ المغرب والأندلس.
- **المحور الثاني:** تطرقنا في هذا المحور إلى "الفتوحات الإسلامية في المغرب الإسلامي والأندلس"، وكانت أول محاضرة هي **"فتح بلاد المغرب"** بداية من تاريخ الحملات الإستطلاعية في عهد عثمان بن عفان بقيادة عمر بن العاص سنة (22-23هـ/643-644)، مرورا بمرحلة الفتح المنظم بقيادة عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار وزهير بن قيس البلوي

مابين (50-80هـ/670-699م)، إلى غاية الفتح النهائي بقيادة حسان بن النعمان الغساني، وموسى بن نصير ما بين (80-90هـ/699-709م)، لندخل في المحاضرة الثانية في موضوع **"فتح الأندلس"** بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير وعبد العزيز بن موسى بن نصير ما بين (91-97هـ/710-716م) وقد أخذ الطالب فكرة عامة حول دوافع المسلمين لفتح الأندلس وأهم حملات الفتح، وأهم النتائج المترتبة عن الفتح.

- **المحور الثالث:** تناولنا في هذا المحور محاضرة حول **"عصر الولاة"** محاويلين جاهدين تقديم صورة حقيقة عن هذه الفترة التارخية التي أثارت إهتمام الكثير من الباحثين والمؤرخين، ثم تحدثنا عن أهم ثورات البربر التي شهدها المغرب الإسلامي، بينما لم نتناول عصر الولاة في الأندلس نظرا لضيق الوقت وتشابه الأحداث التاريخية، ثم تطرقنا إلى أول دولة إسلامية مستقلة قامت في المغرب الأوسط متخذة (تاهرت) عاصمة لها، ونحن نقصد من وراء هذا التلميح **"الدولة الرستمية (160-296هـ/676-909م)"** فقد تحدثنا عن دعوة الخوارج الإباضيين والظروف التي أسست فيها، وبعض ما يتعلق بها من الأحداث التاريخية.

- **المحور الرابع:** أردنا أن نعالج في هذا المحور تاريخ دولة علوية قامت في المغرب الأقصى، وهي **"الدولة الإدريسية (172-375هـ/778-985م)"**، حيث تحدثنا عن كيفية انتقال دعوتهم من المشرق إلى المغرب الأقصى، وبداية تأسيس دولتهم التي سميت بالدولة الإدريسية نسبة إلى مؤسسها (إدريس بن عبد الله الأكبر) الذي ينسب إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وتكلمنا عن مذهبها الديني وعلاقاتها بالدول المجاورة.

- **المحور الخامس:** تطرقنا في هذا المحور عن الدول التي تأسست في المغرب الأدنى واتخذت من القيروان عاصمة لها، ونخص بالذكر الدولة **"الفاطمية الشيعية (296-362هـ/909-973م)"**، حيث أفدنا الطالب بمعلومات قيمة حول المد الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي وعن شخصية أبو عبد الله الشيعي المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية، وعبيد الله المهدي، وعن المعز لدين الله الفاطمي الذي نقل مقر عاصمة دولته إلى الإسكندرية في مصر سنة 362هـ/973م، وفي خضم تلك الأحداث تأسست أول دولة ذات أصول بربرية مستعربة تابعة للخلافة الفاطمية بقيادة بلكين بن زيري بن مناد، متخذة القيروان عاصة لها هي **"الدولة الزيرية (362-543هـ/972-1148م)"**، لنشهد انفصالها واستقلالها بحكم إفريقية والمغرب الأوسط في عهد المعز بن باديس سنة 406هـ/1115م.

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
المجلة العلمية
جامعة أبي بكر بلقايد

➢ **المحور السادس:** وجهنا عنايتنا في هذا المحور إلى الدول الإسلامية المستقلة التي تأسست في المغرب الإسلامي، واتخذت من المغرب الأقصى مسرحا لدعواتها الدينية والسياسية، و جعلت من مراكش عاصمة لها، ثم توسعت حدودها إلى غاية الأندلس، ومن هذه الدول نجد كل من **"الدولة المرابطية (430-541هـ/1038_1156م)"**، و**"الدولة الموحدية (541-668هـ/1156-1269م)"**، فقد أردنا الإلمام بأكبر قدر من المعلومات والأحداث التاريخية المعلمية، وأهم الشخصيات التي حملت على عاتقها مهمة تأسيس هذه الدول، وأهم القبائل التي قامت على أكتافها الدعوة الدينية والسياسية.

كما ارتأينا في الأخير إدراج محاضرة أساسية تخص تاريخ **"الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م)"** كونها آخر دولة إسلامية مستقلة في المغرب الإسلامي، بحيث قدمنا للطالب ملخصا عن تاريخ تأسيسها ونظام حكمها وإمتدادها التاريخي والجغرافي، وأزهى فتراتها، والأسباب التي أدت إلى ضعفها و عجلت بسقوطها، ومع نهاية الدولة الزيانية يدخل العالم الإسلامي تحقيبا جديدا متمثلا في التاريخ الحديث الذي يبدأ من سنة 897هـ/1492م.

إن جل تطلعاتنا هو تقديم معلومات تاريخة مقتبسة من المصادر والمراجع التاريخية المتخصصة، وحاولنا تقديم محاضرات إلقائية شفهية بغية شرح من أمكن شرحه من الأحداث التاريخية المعلمية، وإفادة الطالب بحوصلة عامة حول تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي والأندلس، مع الأخذ بعين الإعتبار إثراء المناقشات والإجابة على مختلف الأسئلة، وتقديم المحاضرة المكتوبة على الحاسوب قصد تسهيل عملية المراجعة؛ أو تثمين البحث من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع التي همشت بها المحاضرة.

ومع كل هذا لا نستثني تقصيرنا في هذا العمل المتواضع؛ الذي يكتنفه الكثير من النقص من حيث المعلومات التاريخية، غير أن ما يمكن أن نقوله هو أننا حاولنا جاهدين أن نضع بين يدي الطالب هذه المطبوعة قصد تلبية حاجاته المعرفية، وزيادة رصيده ومكتسباته المعلوماتية وتنمية قدراته الفكرية، وسنحاول قدر الإمكان تدارك ما أخفقنا فيه وتحسين محاضراتنا بناء على مستجداتنا المعرفية، واحتياجات الطالب المعلوماتية التي نستلهم منها روح الإبداع والاجتهاد والبذل والعطاء.

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد

المحاضرة الأولى

أوضـــاع بـــلاد المغـــرب قبـل الفتـــح الإســـــلامي

تمهيد: إنه لمن الضروري قبل الولوج إلى دراسة تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي؛ أن نثير في شيء من الوضوح جملة من النقاط والمحطات التاريخية الأساسية التي مر بها بلاد المغرب قبل بداية الفتح الإسلامي، ونأخذ فكرة شاملة عن الواقع الإجتماعي الذي كان يعيشه السكان، فقد جمع بين كثير من الأجناس والأعراق ومر بفترات ومراحل تختلف إختلافا بينيا عن بعضها البعض، وإذا كان المجتمع هو المحور الأساسي الذي تبنى عليه الدراسات الإنسانية والإجتماعية؛ فإنه قد بات يتعين علينا أن نقدم حوصلة عن جغرافية بلاد المغرب وعن مجتمعه كمدخل يمكن بناء عليه أن نشكل معرفتنا التاريخية الأكاديمية.

1- جغرافية بلاد المغرب:

أطلق هذا المصطلح على جميع البلاد التي تلي غرب مصر إلى غاية المحيط الأطلسي بما فيها أفريقية الشمالية، فقد كان الإغريق يسمون الجزء الشمالي منه "ليبو" أو "لوبيا" أو "ليبيا"، فيما كانوا يسمون الصحراء بلاد الأحباش السود، ولفظ أفريقية (Africa) أطلقه الرومان قديما على الإقليم الذي يقابل الجزء الشمالي الشرقي من البلاد التونسية، وهو يشتمل على قرطاجة وما حولها من نوميديا.

أما فيما يخص مصطلح "المغرب" فهناك عدة تعريفات وردت في كتب الجغرافيين المشارقة[1] فيذكر ابن حوقل في أنه يمتد "من مصر وبرقة إلى أفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة"[2]، ويجعل المقدسي[3] حدود المغرب "من مصر إلى السوس الأقصى وجزيرة صقلية والأندلس، أما ياقوت الحموي[4] فيحدد أفريقية ويجعل ضمنها المغرب بقوله:" أفريقية إسم لبلاد واسعة وملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس" أما مصطلح "شمال أفريقا" فهو مصطلح عام لم يظهر إلا حديثا وهو يرادف لمصطلح (المغرب) التي استعملها الجغرافيون والمؤرخون العرب،

---

1 سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 2004، ص22.

2 ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996، ص64.

3 المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، درا صادر بيروت، ط2، 1906، ص216.

4 ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، م1، ص228.

وذلك لوصف المناطق التي تمتد من الحدود الغربية لمصر إلى حدود شواطئ المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى[5]، وبعد الفتح الإسلامي لهذه المنطقة تغير مدلول الكلمة وأصبحت تعني "المغرب الإسلامي" التي تشمل: (المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى)، وهناك من يرى بأن الأندلس تدخل هي الأخرى ضمن حدود المغرب الإسلامي وهناك من يرى عكس ذلك.

وهناك عدة روايات حول تسمية أفريقية وتسمية أهلها بالأفارقة، فتقول الرواية الأولى أنها سميت بذلك تيمنا بأفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية (قطورى)، وقال آخرون أن أهلها تسموا بالأفارقة لأنهم من ولد فارق بن مصريم، وقد زعموا أنها تنسب إلى امرأة تسمى أفريقية بنت يافوه بن يونش الذي بنى مدينة منفيس بمصر، وحظيت هذه المرأة بملك أفريقية فسميت باسمها[6]، وورد أن "أفريقش بن قيس بن صيفي (وهو من الملوك اليمنيين العظماء) لما غزا المغرب وأفريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والأمصار، وزعم بعض المؤرخين أن تسمية "أفريقية" كانت بسبب الصفة التي نعت بها "أفريقش" سكان بلاد المغرب؛ بعد أن سمع رطانة لغتهم الغير المفهومة فتعجب من ذلك، وقال ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر، والبربر بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة، ومنه يقال بربر الأسد إذ زأر بأصوات غير مفهومة"[7].

2- أصل سكان بلاد المغرب:

البربر هم السكان الأصليون للمغرب ويمثلون الأكثرية من تركيبته الاجتماعية، ولفظ البربر (Barbari) أطلقه الرومان على سكان بلاد المغرب باعتبارهم عجم وغرباء، كما أطلقوا إسم المور (Maures) على سكان موريتانيا (طنجة)، وينقسم البربر إلى قسمين:

أ- البتر: هم سكان البوادي ويعيشون على الرعي والزراعة والصيد ومن قبائل البتر نجد كل من: ضريسة، أداسة نفوسة، لواته، زناتة، مغراوة، جراوة، بني يفرن، بني زيان،...إلخ.

---

5 عبد الواحد دنون طه، الفتح والإستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص39.

6 سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، المرجع السابق، صص 21-26.

7 إبن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، نشر خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص116.

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
العلمي

ب- البرانس: هم سكان الحضر المتأثرين بالحضارة اللاتينية منذ الوجود الروماني مرورا بالوندال إلى البيزنطيين، ومن أهم قبائل البرانس نجد كل من: صنهاجة كتامة، مصمودة، أزداجة، أوربة، أوريغة...إلخ.[8]

وترى بعض المصادر التاريخية أن قبائل البرانس تمثل ثلثي القبائل البربرية ففي رواية لابن خلدون عند حديثه عن قبائل صنهاجة يقول: "هذا القبيل من أوفرق قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما بعده، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من لناس أنهم الثلث من أمم البربر"[9]، وعند حديثه عن قبيلة صنهاجة وأصلها فإنه يذكر بأن نسبهم "من ولد صنهاج وهو صناك بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم، إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج وهو عند نسابة العرب من بطون البرانس من ولد برنس بن برّ"[10].

وقد اختلف كثيرا في أصل البربر فمن النسابين العرب من يرجعهم إلى ذرية نقشان (أو يقشان كما في التوراة) بن إبراهيم عليه السلام، وقيل أن أصلهم من لخم وجذام كانت مواطنهم بفلسطين، وأخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر من النزول، فعبروا النيل وانتشروا في البلاد، وقال بعضهم أن طوائف من البربر ا

دعت أنهم من ولد النعمان بن حمير من سبأ بحيث أن هذا الأخير استدعى أبناءه ورغبهم في عمارة بلاد المغرب، فبعث لمت أبا قبيلة لمتونة، ومسفو أبا قبيلة مسوفة، ومرطا أبا قبيلة هسكورة، وأصناك أبا قبيلة صنهاجة، ولمط أبا قبيلة لمطة، وإيلان أبا قبيلة هيلانة، وأجانا أبا قبيلة زناتة، فنزل بعضهم بجبل درن، وبعضهم بالسوس وبعضهم بدرعة"[11] ويرى بعض المؤرخين أنهم من قوم جالوت وبعد أن قتل على يد داوود عليه السلام تفرقوا في البلاد وغزا بهم أفريقش المغرب ونقلهم من سواحل الشام وأسكنهم أفريقة وسماهم بـ "البربر".

وهناك من يرى بأنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وقد أيد هذا الرأي القديس اوغسطين الذي نسب مجتمعه الأمازيغي إلى الكنعانيين أيضا، حيث كتب في إحدى رسائله قائلا: "إذا سألتم فلاحينا عن

---

8 عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-897هـ/710-1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، 2002، ص23.

9 إبن خلدون، المصدر السابق، ص201.

10 المصدر نفسه، ص201.

11 إبن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، صص 121-122.

أصلهم؛ فسيجيبون: نحن كنعانيون"، كما أن هناك تصنيفا علميا قام به كل من الباحث برتولون (Bertholon) وشانتر (Chanter)، يحددان فيه أجناس البربر التي عاشت في شمال أفريقيا، بحيث خرجا سنة 1913 بـ 1532 ملاحظة دقيقة تثبت بما لا يدع مجالا للشك أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: وهو قصير القامة، مستطيل الرأس، متوسط الأنف، أسود الشعر، بشرته فيها صدأة وصبغها أحمر يضرب إلى السمرة.

الصنف الثاني: وهو قصير القامة، بيضور الرأس، دقيق الأنف يمتاز بالطول، أسود الشعر، في عينيه دكة، في بشرته صدأة صبغها ضارب إلى الصفرة.

الصنف الثالث: وهو طويل القامة، مستطيل الرأس، دقيق الأنف يمتاز بالطول، أشقر الشعر، أزرق العينين، أبيض البشرة وردي اللون، ومن هذا النوع كذلك تنحدر منه بعض الأصناف الأخرى، كأصحاب البشرة الداكنة كالزنوج وأهل الواحات[12].

3- الأجناس التي استوطنت بلاد المغرب:

❖ الشعوب الأمازيغية:

- الليبيون: هو إسم لإحدى القبائل الليبية القديمة، وقد سجلت بعض الوثائق المصرية القديمة (نارمير) إنتصارات فرعون عليهم وتسميهم النصوص ب (التيهنو) أو (التحنو) Tehenou [13] ويرى معظم الباحثين أنهم كانوا يسكنون منطقة برقة الحالية وأنهم ينقسمون إلى قبائل مادغيس الذين كانوا يعيشون في النصف الشرقي من ليبيا، والبرانس كانوا يعيشون في الجزء الغربي منها، وقد ظهر إسم (التحنو) في أقدم مدونات النيل خلال الأسرة الأولى (3400-3200 ق.م) وذلك في عهد الملك نعرمر (مينا) الذي وحد منطقة النيل[14]، وهناك لوحة فرعونية لفنان مصري تصور زعماء القبائل الليبية سنة 1300 ق.م عثر عليها في ضريح الفرعون (سيتي الأول) من الأسرة التاسعة عشر، وقد انتشرو في واد النيل وغربه خلال الألف الرابعة قبل الميلاد (4000 ق.م)، فالنصوص التي أوردها المؤرخ اليوناني هيرودت

---

12 شارل آندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تعريب محمد مزالي، مؤسسة توالت الثقافية، 2011، ص55.

13 المرجع نفسه، ص59.

14 محمد سعد الشيباني، تاريخ إباضية تمازغا مقدمة في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب في القرون الهجرية الأولى، مطبعة JMS Plus، تونس، 2013، ص26.

تؤكّد ذلك حيث يقول: "هكذا يكون البدو الرعاة الليبيون من (إجبتيوس) حتى بحيرة (تريتونيس) أكلة لحم وشاربي لبن، ولا يأكلون لحن إناث البقر مثلهم مثل (القبط)، ولا يربون الخنازير"[15].

ويضيف في نص آخر قائلا: "أما إلى الغرب من بحيرة تريتونيس، فإن الليبيين لا يكونون بدوا رعاة، لا يمارسون العادات نفسها، ولا يفعله ما يفعله البدو لأولادهم، بعد ان يبلغ أطفالهم الأربع سنوات، يكوون عروق رؤوسهم، وكثير منهم يكوون عروق أصادغهم بإستعمال دهن صوف الغنم، وذلك حتى لا يستمر نزول البلغم من الرأس طيلة الوقت، ويلحق بهم الضرر، ولهذا يقال أنهم أصحاء جدا، وفي الحقيقة يكون الليبيون أصح الأقوام الذين نعرفهم، وليس بإمكاني القول هل يكونون أصحاء لهذا السبب، وعلى أية حال يكونون أصحاء جدا، وإذا ما أصاب الأطفال ألم أو تشنج من الكي فإنهم قد وجدوا لهم علاجا، وذلك بأن يسكبوا عليهم بول جدي الماعز، وأنا أقول ما يقوله الليبيون أنفسهم"[16].

- قبائل التمحو (Temehu) التمهو، خلال الألف الثالث قبل الميلاد (3000 ق م) حسب الوثائق القبطية، لعلهم أوا التمهاك، الطوارق الحاليين.
- قبائل ليبو، ريبو (Rib ,Libu)، الألف الثانية قبل الميلاد (2000 ق م) حسب الوثائق القبطية.
- قبائل مشوش (Meshwesh) خلال الألف الأولى قبل الميلاد (1000 ق م) ومنهم الفرعون شيشنك.

وقد أوردت المدونات المصرية أسماء قبائل أمازيغية أقل شأنا أو أبعد تاريخا مثل "قبط" التي ذكرت في الميثولوجيا الإغريقية عن بلاد لوبيا ب "إيكيبان" Egypans، وذلك يؤكد أن بعض القبائل الأمازيغية استوطنت وادي النيل[17].

❖ **العرب:** تألف المغرب بعد الفتح من عناصر عربية مختلفة، فقد شكل العرب اليمانيون المضريون الغالبية من العرب الساكنين لبلاد المغرب، وكان يطلق عليهم "عرب المغرب" أو "العرب البلديون" أو "العرب الأفارقة"، ولقد كان هؤلاء من أوائل العرب الفاتحين، حيث أنهم استقروا بالقيروان بعد تأسيسها سنة 50هـ/675م على يد عقبة بن نافع، وقد قاسمهم العرب القيسيون المساندين للحكم العربي الأموي والعباسي تحت قيادة زعيمهم (محمد بن يزيد القيسي) إستطان تلك الأرض، وقد شهدت بلاد المغرب العديد من هجرات العرب القيسيين بعدما قام الخليفة الأموي هشام

---

15 هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001، ص 365/ محمد سعد الشيباني، المرجع السابق، ص28.

16 هيرودوت، المصدر نفسه، صص365-366/ محمد سعد الشيباني، المرجع السابق، ص28.

17 محمد سعد الشيباني، المرجع السابق، ص31.

بن عبد الملك تعيين (عبيد الله بن الحبحاب) واليا على المغرب باعتباره قيسيا، حيث أعاد سيادة العرب القيسيين، وطوال تاريخ المغرب الإسلامي توافدت جموع العرب إليه وعرفت ب "الطوالع العربية" من عرب الحجاز واليمانيين مع موسى بن نصير، أما الطوالع الآخرين فقد عرفوا ب"عرب الشام" تحت قيادة (كلثوم بن عياض القشيري) وكانوا ينافسون العرب البلديين على تقسيم الأراضي والحصول على كثير من الامتيازات[18].

4- المغرب تحت الحكم الروماني والبيزنطي (146 ق م- 709م):

مع سقوط قرطاجة سنة 146 ق م سيطر الرومان على بلاد المغرب وأطلقوا إسم أفريقية (Africa) على ولايتهم الجديدة التي ضمت قرطاجة ومن حولها ثم بسطوا نفوذهم على ساحل شمال أفريقيا وقسموها إلى ثلاث ولايات:

- أفريقيا Africa (أي تونس).
- نوميديا Numide (شرق الجزائر).
- موريتانيا Mauretaine (غرب الجزائر وشمال مغرب).

سيطر الوندال على بلاد المغرب (429-533م) وهم من قبائل التيوتون الجرمانية التي خرجت من شواطئ البلطيق وأراضي الراين والدانوب، وهاجروا إلى إسبانيا سنة 409م وقد عبروا المضيق إلى المغرب بقيادة جنسريك (Genserie) سنة 429م وسيطروا عليه بعد انسحاب الرومان سنة 439م.

سيطر البيزنطيون على بلاد المغرب سنة 533م بقيادة بليزاريوس (Belisarios) في عهد جستنيان وأطلق عليه إسم (Africa) عاصمتها قرطاجة وعين حاكما عاما يقيم في العاصمة يدعى سولومون (Solomon) 534-543م، وقام البيزنطيون بتقسيمها إلى سبعة أقاليم بغية إمكانية التحكم فيها وتسييرها وهي كالآتي:

زيجيتان (مركزها قرطاجة)، بيزانسين (Byzancéne) في الداخل، وطرابلس (Tripolitaine)، ونوميديا (Numide)، وموريتانيا الأولى (Mauretaine) ومركزها سطيف بالجزائر، وموريتانيا الثانية القيصرية (Cesarea) مركزها شرشال، وموريتانيا الطنجية عاصمتها سبتة، وقد تولى حكم كل منطقة حاكما يسمى (دوق) وجيشا عسكريا يتولاه قائد أعلى يسمى (Magister Militum) وأقاموا خطا دفاعيا يسمى ليمس (Limes).

18 سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص26.

خلاصة: لقد شهدت بلاد المغرب إستقرار واستيطان الكثير من المجتمعات عبر مراحله التاريخية، وقد نتج عن ذلك ظهور مجتمع مركب غير بيسط؛ انصهرت فيه الفئات السكانية واندمجت مع بعضها لتشكل مجتمع بلاد المغرب المتميز بضروب عيشه المختلفة وأنماط فكره وتنوع معتقداته ولهجاته، وسوف يشهد هذا المجتمع واحدا من أكبر التحولات التي ستطرأ عليه نتيجة الفتوحات الإسلامية، وسوف تتغير معه الخريطة الجغرافية التي عهدها لفترة طويلة، وسوف تتولد مجتمعات أخرى تعمل على تأسيس دويلات مستقلة خاصة بها.

المجلس العلمي

المحاضرة الثانية

فـــــتـــــح بـــــلاد المغــرب (22-90هـ/643-709م)

تمهيد: في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قام عمرو بن العص بفتح مصر، بحيث استسلم له الأقباط والروم طواعية، وقد أصبحت مصر منذ سنة 22هـ/642م تحت الحكم الإسلامي، ولتأمين البلد وتأمين تواجد المسلمين بمصر من البيزنطيين قرر عمرو بن العاص أن يتحول إلى فتح شمال أفريقيا، وكان الفتح الإسلامي قد امتد للشام، وبذلك كان من الضروري أيضا التوجه إلى المغرب والقيام بفتحه.

وقد كانت الغاية من التوجه لفتح بلاد المغرب الإسلامي هو نشر الدين الإسلامي وتصفية المنطقة من الإمبراطورية البيزنطية؛ وبدأ فتحها من برقة بقيادة عقبة بن نافع الفهري الذي دخلها بحيث عقد مع سكانها (مع قبيلة لواتة) معاهدة صلح، ثم وجهت بعد ذلك حملة أخرى إلى زويلة التي تم الاستيلاء عليها[19] ومنه أصبحت المنطقة الممتدة من برقة إلى زويلة تحت سيطرة جيش عمرو بن العاص.

1- الغارات والحملات الإستطلاعية (21-48هـ/ 642-668م):

أ- عمرو بن العاص والخروج لفتح إفريقية: (22-23هـ/643-644م):

بعد أن فتح عمر بن العاص مصر واستكملها سنة 21هـ/641م اتجه لإتمام الفتح غرب الإسكندرية قاصدا "برقة وطرابلس" و تأمين حدود مصر الغربية من الخطر البيزنطي القائم في المغرب الذي كان يعرف بولاية أفريقية، بحيث كانت برقة وطرابلس تابعتين لولاية أفريقية البيزنطية ثم لمصر في أواخر القرن السادس الميلادي، فقد زحف عمر بن العاص من الإسكندرية متخذا الطريق الساحلي سنة 22هـ/643م فلم يلق مقاومة أثناء دخول برقة، بحيث أنه صالح أهلها من قبيلة لواتة البترية على جزية مقدارها دينار عن كل شخص بالغ، ثم تابع سيره نحو طرابلس متخذا نفس الطريق الساحلي حتى وصل "طرابلس" فحاصرها مدة شهر، ثم استغل فرصة حركة الجزر وانحسار مياه البحر في الدخول إليها من الجهة الشمالية وصالح أهلها بعد أن رحل البيزنطيون عنها بالسفن سنة 22هـ/643، ومنها توجه إلى مدينة "صبرة" sabrata بدون قتال فكانت آخر مدينة ساحلية وصلها الفتح الإسلامي ذلك الوقت بسبب رفض عمر

---

19 عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد ادريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص29.

بن الخطاب التوغل أكثر لمعرفته التامة بصعوبة المنطقة حيث وصفها قائلا:" إنها ليست أفريقية ولكنها المغرقة، غادرة، مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"، وعلى هذا الأساس أصبحت برقة قاعدة للجيوش العربية الإسلامية غرب مصر، وأصبح بالإمكان متابعة الزحف نحو المغرب حتى المحيط الأطلسي في حالة ما إذا تم القضاء على الحاكم البيزنطي على ولاية أفريقية "غريغوريوس"[20].

ب- حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح (27هـ-28هـ/647-648م):

بعد وفاة عمر بن الخطاب تولى الخلافة عثمان بن عفان ﷺ أواخر سنة 23هـ/466م، عزل عمر عن ولاية مصر وعين مكانه أخاه في الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 24هـ/645م، وأخذ يستعد لبداية فتح المغرب، بينما كان "غريغوريوس" قد استقل بولاية أفريقية ولقب نفسه بالإمبراطور متحديا الدولة البيزنطية، وزيادة على ذلك قام بتحصين ولايته بالحصون والقلاع ونقل العاصمة من "قرطاجة" إلى "سبيطلة" سنة 25هـ/645م ليحتمي بقوة البربر، على هذا الأساس سير عثمان بن عفان جيشا بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح من المدينة المنورة سنة 27هـ/647م، وخرج معه أبناء كبار الصحابة: عبد الله بن الزبير بن العوام، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق، عبد الله بن عمر بن العاص حتى وصلوا إلى "سبيطلة" supetula التي أنزل العرب فيها الهزيمة بغيرغوريوس وجيشه، وقتل غريغوريوس على يد عبد الله بن الزبير بن العوام، وتابع الفاتحون طريقهم نحو "قفصة" وبعد فتحها عقد الصلح مع حاكم أفريقيا الجديد مقابل ثلاثمائة قنطار من الذهب[21].

ج- الحملات الإستطلاعية بقيادة عقبة بن نافع (41-43هـ/661-663م):

عندما استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان بعد أن تنازل له الحسن بن علي كرم الله وجهه سنة 41هـ/611، إستأنف عمر بن العاص غزو ولاية أفريقية، فأرسل قائده عقبة بن نافع في حملات استطلاعية وتأديبية في برقة وطرابلس، ثم مر من غدامس إلى ودان وكانت قد نقضت الصلح ففتحها من جديد ثم واصل طريقه نحو فزان بحيث

---

20 عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-897هـ/710-1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، 2002، ص29.

21 المرجع السابق، صص30-31/ عبد الواحد دنون طه، الفتح والإستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص99.

فقبلوا العودة إلى الإسلام وترك فيهم من يعلمهم أحكام الإسلام، ثم توجه نحو قصور كاوراه التي تم الاستيلاء عليها وفتح ما استطاع فتحه دون أن ينتصر على البيزنطيين انتصارا حاسما[22].

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
جامعة أبي بكر بلقايد
المجلس العلمي

د- معاوية بن حديج والحملة على أفريقية:(46هـ/666م):

بعد وفاة عمر بن العاص سنة 43هـ/633م، قام معاوية بن أبي سفيان بفصل ولاية أفريقية عن مصر وجعلها ولاية مستقلة تخضع له مباشرة، وأقام عليها معاوية بن خديج وهو قائد الجند في مصر وأحد أنصاره المقربين الذين ساعدوه في الوصول إلى الحكم، وقد كان وقتها الإمبراطور البيزنطي "قسطنطين الثاني" بحاجة إلى المال بسبب الظروف الاقتصادية السيئة داخل بيزنطة، فأرسل عامله "أوليمة" لضغط على سكان أفريقية لدفع ثلاثمائة قنطار من الذهب على نحو ما فعلوه مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وأبعد الوالي القديم "جناحة" (لعله جناديوس)، فالتجأ إلى معاوية بن أبي سفيان الذي أمر معاوية بن خديج الكندي بالتوجه إلى أفريقية بحملة عسكرية استهدف بها "قمونية" جنوب قرطاجة، وسير فرقتين الأولى بقيادة عبد الله بن الزبير الذي استولى على "سوسة" بعد أن فر منها البيزنطيون نحو "صقلية"، والثانية بقيادة عبد الملك بن مروان استولى بها على "جلولاء"[23].

2- الفتح المنظم (50-80هـ/670-699م):

يمكن تقسيم الفتح في هذه الفترة على قسمين الفترة الأولى والتي استمرت أربع عشرة سنة 50-64هـ/ 670-683م)، والتي قادها عقبة بن نافع ثم يحل محله أبو المهاجر دينار ثم عودة عقبة بن نافع والتي انتهت بحملته الكبرى إلى غاية المغرب وصولا إلى ساحل المحيط الأطلسي ثم مقتله في تهودة، أما الفترة الثانية فاستمرت ستة سنوات (69-75هـ/688-694م) بدأها زهير بن قيس البلوي الذي قضى فيها على كسيلة، ثم حملة حسان بن النعمان الغساني الذي قام بتدمير قرطاجنة وانهزام البيزنطيين، لتنتهي بهزيمته أمام الكاهنة التي أحكمت سيطرتها لمدة خمس سنوات تراجع خلالها المسلمون مرة أخرى إلى برقة[24].

أ- عقبة بن نافع وإنشاء مدينة القيروان (50-55 هـ/ 670-675م):

---

22 عصام محمد شبارو، المرجع نفسه، ص32/ عبد الواحد دنون طه، المرجع نفسه، ص101.

23 عصام محمد شبارو، المرجع نفسه، صص32-34/ عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد ادريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، صص37-40.

24 عصام محمد شبارو، المرجع نفسه، ص34.

في سنة 48هـ/668م عزل معاوية بن أبي سفيان عامله معاوية بن خديج الذي رحل إلى مصر، وعين مكانه عقبة بن نافع سنة 49هـ/669م وعقبة بن نافع هو ابن خالة عمر بن العاص، ومعه بدأت مرحلة جديدة من حيث التنظيم والتخطيط، وفي سنة 50هـ/670م قاد عقبة حملة عسكرية سالكا الطريق الصحراوي على غير العادة المألوفة لدى الفاتحين الآخرين، ففتح غدامس وقفصة وقصطيلية، وأخضع الواحات الداخلية في برقة، وافتتح ودان وجربة وفزان[25]، وهنا نلاحظ أن غدامس وودان كان عقبة قد فتحها سنة 42هـ/622م زمن عمر بن العاص، ثم أعاد فتحها مرة أخرى سنة 50هـ/670م مما يعني أن أهل أفريقية كانوا يدخلون الإسلام طالما بقي العرب في بلادهم، فإذا ما انصرف الفاتحون ارتدوا إلى النصرانية.

لهذا السبب ارتأى عقبة بن نافع تأسيس مدينة عربية في موضع داخلي بعيدا عن الساحل خشية التعرض لغزوات البيزنطيين البحرية من جهة، ولاتخاذها كقاعدة عسكرية ثابتة لمواصلة الفتح من جهة أخرى، وهي خطة تكتيكية في غاية الأهمية من الناحية الإستراتيجية، وقد قال عقبة:**" إنّ إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة عزا للإسلام إلى آخر الدّهر "**[26].

اتفق المسلمون على بناء المدينة ووقع الإختيار على موضع يسمى "قمونية" في الصحراء جنوب قرطاجة، استمر البناء خمس سنوات بحيث بنيت فيها دار الإمارة ودار الجند والمسجد الجامع والأسواق وانتهي بناؤها سنة 55هـ/674م ودعيت باسم القيروان أحيطت المدينة بسور وتحولت إلى عاصمة لبلاد المغرب[27].

ب- حملة أبو المهاجر دينار باتجاه المغرب الأوسط (55-60هـ/675-670م):

كان معاوية بن أبي سفيان يدرك تماما أهمية ولاية أفريقية إذا ما تم فتح بلاد المغرب، لذلك فصلها عن مصر بعد وفاة عمر بن العاص سنة 43هـ/664م وجعلها تابعة له مباشرة حتى لا يزداد نفوذ والي مصر ويفكر بالإنفصال والاستقلال، وعندما أنشا عقبة بن نافع مدينة القيروان، أدرك معاوية أيضا أن عقبة لا يقل طموحا عن ابن خالته

---

25 أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، 1911، ص13.

26 إبن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، ص19.

27 عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص45.

المجلس العلمي

عمر بن العاص، فعندما تولى مسلم بن مخلد الأنصاري ولاية مصر قام بإرسال أبو المهاجر دينار في حملة من أهل الشام ومصر سنة 55ه/657م لمواصلة الفتح في المغرب.

ويقال بأنه عندما وصل أبو المهاجر إلى القيروان أساء عزل عقبة "فسجنه وأوقره حديدا" أي أنه أساء معاملته، ثم أمر معاوية بن أبي سفيان إطلاق سراحه والإعتذار إليه، وهذا أسلوب فب غاية الذكاء في كيفية معاملة القواد العظام حتى لا ترتفع مكانتهم ويصابون بوهم الغرور وجنون السلطة، وما يجب أن يقال عن أبي المهاجر دينار هو أنه كان أول فاتح عربي يتوغل فب المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، إذ أن سياسته امتازت باللين والتسامح وتقريب واستمالة البربر ونشر الإسلام بينهم، وبفضل هذه التسامح والتعايش تمكن من استمالة زعيم قبيلة أوربة أكبر قبائل البرانس ويدعى كسيلة بن لمزم[28]، وكان نصرانيا متحالفا مع البيزنطيين فأصبح مسلما حليفا للعرب الفاتحين، وبهذه السياسة تمكن أبو المهاجر من فتح العاصمة الأفريقية البيزنطية "قرطاجة" ووصل إلى غاية تلمسان[29].

ج- حملة ولاية عقبة نحو المغرب الأقصى (62ه/681م):

بوفاة معاوية بن أبي سفيان سنة 60ه/680م، قام خليفته يزيد بن معاوية بفصل ولاية أفريقية عن مصر وأعاد إليها عقبة بن نافع بعد أن تم عزل أبي المهاجر دينار، وفور قدوم عقبة إلى القيروان، قيل أنه عامل أبا المهاجر بالمثل فأساء عزله بعد أن قبض عليه واوثقه بالحديد[30] مما يقد لنا صورة تنم عن جو تسوده المنافسة بين قواد الفتوحات للظفر بلقب فاتح بلاد المغرب، غير أن مصادرا تاريخية تورد لنا بأن عقبة بن نافع والمهاجر بن أبي دينار توغلا في المغرب الاوسط والمغرب الأقصى حتى وصلا إلى المحيط الأطلسي برفقة بعضهم البعض، مما يقد لنا هذا الوصف طرحا آخر يثير الشك حول المبالغة في إساءة العزل والسجن لكليهما.

خرج عقبة بن نافع من القيروان بعد أن خلف عليها زهير بن قيس البلوي، متجها بحملته الكبرى نحو المغرب الأقصى ومع جماعة من قبيلة أوربة لترشده إلى المسالك في هذه البلاد النائية، فقد فتح كل من المنستير في (المغرب

---

28 يرى أحد الباحثين بأن تسمية كسيلة توافق أمازيغيا ما معناه "أكسيل" النمر (aksel)، نسبة إلى تسمية والده "إهري" التي تعني النمر بالعربية، ونفس الشيء ينطبق على خليفة أكسيل سيدة نوميديا تيهيا، أو تيبا تكلت ومعناها (الغزالة الجميلة) وعرفت في كتب التاريخ ب: ديهيا/ داهيي/ دامية.... كما عرفت بلقب الكاهنة/ محمد سعد الشيباني، تاريخ إباضية تمازغا مقدمة في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب في القرون الهجرية الأولى، مطبعة JMS Plus، تونس، 2013، ص40.

29 عصام محمد شبارو، المرجع السابق،، ص 37.

30 إبن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ج3، ص450.

الأدنى) وفتح بجاية ودخل بلاد الزاب وفتح المسيلة، كما أنزل الهزيمة بالبيزنطيين وحلفائهم من بربر لواتة وهوارة ومكناسة عند "تاهرت" في (المغرب الأوسط)، كما اتجه نحو (المغرب الأقصى) فغزا بلاد قبائل اوربة بالرغم من معارضة أبي المهاجر دينار، ووصل إلى طنجة وصالح حاكمها "يوليان"، كما اتجه نحو السوس الأقصى حتى وصل إلى المحيط الأطلسي ورفع يديه إلى السماء[31] وقال:" يا رب لولا أن البحي منعني لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين، مدافعا عنت دينك، مقاتلا من كفر بك وعبد غيرك"[32].

وفيم نحن آخذين بالإسترسال في حديثنا عن التكيتك المنهجي لعملية الفتح، يتوجب علينا بصورة حتمية أن نخضع الصورة الحقيقة للواقعة التاريخية للتحليل والنقد، إذ أن سياسة العنف والشدّة قد لا تصنع التاريخ بقدر ما تكون المعول الذي يهدمه، ذلك يعني وبلغة الموضوعية أن عقبة بن نافع لم تنكر لتوجيهات أبي المهاجر دينار الذي حثه على استعمال سياسة اللين والتسامح مع القبائل البربرية؛ كونه يعرف طبيعة العنصر البربري معرفة جيدة تخوله لأن يكون المرشد الإجتماعي والنفسي الأبرز بين قادة الفتح. إنّ المعاملة السيئة التي تلقاها كسيلة من طرف عقبة بن نافع جعلته يغير موقفه من الفاتحين الجدد، وعمل على إيجاد حليف بيزنطي يخلصه من استرجاع هيبة ومكانة البربر، لهذا السبب عمل كسيلة على استدراج عقبة بن نافع وفلول جيشه إلى منطقة تسمى "تهودة" بالقرب من بسكرة حاليا سنة 63هـ/683م أين لقي عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار مصرعهما وأسر بعض جنودهما[33].

د- حملة زهير بن قيس البلوي وإعادة فتح أفريقية (69هـ/688م):

كان لهزيمة العرب المسلمين في تهودة نتائج سلبية على سيرورة الفتح، حيث انسحب زهير بن قيس البلوي نائب عن عقبة بن نافع عن القيروان إلى برقة ليتجنب أي هجوم مفاجئ من كسيلة، وكان تحرك كسيلة وقبائل البربر نحو القيروان سنة 64هـ/684م أو ثورة أو حركة تمرد على الحكم العربي الإسلامي، وفي الفترة التي تلت مقتل عقبة وأبي المهاجر دينار توقف الفتح حوالي خمسة سنوات إلى غاية سنة 69هـ/688م حيث أسل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حملة عسكرية بقيادة زهير بن قيس البلوي في هذه السنة إلى جبال الأوراس انتقاما لمقتل عقبة بن

31 عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 115.

32 إبن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص27.

33 عصام محمد شبارو، المرجع نفسه، صص38-40.

نافع، وكانت نتيجتها مقتل القائد البربري كسيلة وعديد كبير من البربر في موضع يسمى ممس (Mamma)، وكسرت شوكة قبائل أوربة، غير أن الدولة البيزنطية خشيت على مصالحها وأرسلت قوة بحرية من صقلية نحو سواحل شمال أفريقيا لقطع طريق العودة عن زهير بن قيس البلوي وتمت العملية بمقتله ومعظم أصحابه في موقعة درنة سنة 69هـ/688م.

3- الفتح النهائي (80-89هـ/699-709م):

أ- حملة حسان بن النعمان الغساني (73-85هـ/692-704م):

اتبع حسان سياسة جديدة تقتضي باستمالة البربر البرانس إلى جانبه، بينما لم ينجح في ذلك مع البربر البتر، وقد اشتدت شوكتهم في جبال الأوراس بعد أن التفوا حول زعيمة لهم من قبيلة جرواة يقال لها داهية بنت ماتية بنت تيغان وتعرف بالكاهنة لأنها كانت تتنبّأ أو تتكهن بالغيب، مما يعني علو شأنها ومركزها الروحي لدى البربر، كانت منهجية الدفاع لدا الكاهنة تقضي بتخريب المدن والقلاع التي يلتجأ إليها الفاتحون الجدد واتبعت سياسة الأرض المحروقة وقطع السبيل نحو توغل الفتح في المناطق المعزولة وقطع السبل عنهم، ظنا منها أن العرب قدموا إلى بلاد المغرب طمعا في مدنها العامرة ومزارعها وخيراتها، لذلك عمدت إلى تدمير المدن وتخريب الحصون وحرق المحاصيل الزراعية وقطع أشجار الزيتون، غير أن سياسة الكاهنة لم تأت ثمارها، فقد انقلب عليها سكان البربر الرانس والبيزنطيين في حين فر البعض منهم إلى صقلية وإيطاليا.

أدرك حسان بن النعمان الغساني أن الفتح النهائي يتطلب جيشا كبيرا، لهذا أمده عبد الملل بن مروان بجيش مكون من أربعين ألف مقاتل مزودا بأسطول بحري وانضم إليه البربر البرانس الموالين له الناقمين على الكاهنة، ولم تدم مطاردتها مدة طويلة حتى تم القضاء عليها في موضع يسمى بئر الكاهنة وقيل عند طبرقة سنة 82هـ/701م، ولتدعيم دعائم الفتح الإسلامي عمل حسان على إنشاء قاعدة بحرية لمقاومة الخطر البيزنطي ولحامية القيروان التي كانت تحتاج إلى مزيد من التحصين، لذلك أمر حسان ببناء مدينة "تونس" التي كانت عبارة عن قرية صغيرة عرفت قديما بإسم "ترشيش" أو "تنيس"[34] بحيث حولها إلى ثغر بحري فيه دار لصناعة السفن بعد أن استعان بألف أسرة من أقباط مصر خبيرة بشؤون الملاحة وبناء السفن، واشتملت كذلك على دور للجند والمسجد الجامع، كما قام بتعريب الدواوين

34 أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص37.

وتنظيم الخراج ومسح الأراضي ونشر الإسلام، وتوزيع الأراضي على أهلها القدماء الذين افتكها منهم البيزنطيون، كما شيد المحارس والرباطات لإيواء الجند، ودفع الناس إلى العمارة وتجديد الغراسة وإحياء الأراضي الموات، إقامة المساجد وتعميرها في الجهات التي اعتنق أهلها الاسلام، وسع بناء جامع عقبة بن نافع، قام ببناء دار صناعة لإنشاء المراكب[35].

ب- حملات موسى بن نصير ونهاية الحملات على المغرب الإسلامي (85-90هـ/704-709م):

في سنة 85هـ/704م أرسل والي مصر عبد العزيز بن مروان كتابا إلى الخليفة – شقيقه- في دمشق عبد الملك بن مروان[36] إقترح فيها عليه تعيين موسى بن نصير على أفريقية[37] اتجه موسى بن نصير إلى القيروان، حيث باشر بتوطيد الحكم الإسلامي بكل من المغرب الأدنى والأوسط، وكانت نتيجة سياسته المنتهجة أن دخلت جموع كبيرة من البربر الإسلام حيث قام بتعزيز الجيش بهم وذلك لمواصلة الفتح فيما بقي من المغرب الأوسط وخاصة في المغرب الأقصى، وقد أدرك موسى بن نصير ضرورة بناء أسطول بحري قوي لضمان سلامة خطوط مواصلاته الطويلة من خطر الأسطول البيزنطي وهو على وشك فتح الأندلس، لذلك قام ببناء أسطول مكون من مائة سفينة في ثغر تونس وغيرها من ثغور المغرب حيث تتوفر الأخشاب وأخذ يهاجم القواعد البحرية البيزنطية في جزر البحر المتوسط مثل صقلية وسردينيا وكورسيكا وجزر البليار[38].

قام موسى بن نصير باتباع خطة عسكرية جديدة في حملاته على المغرب الأقصى بحيث بعث بحملات كثيرة في عدد من المناطق، وكان أبناؤه الأربعة[39] وكذا القادة الذين يعول عليهم على رأس هذه الحملات، مستعينا بالأسطول البحري الذي واصل في بنائه، حريصا على سلامة الأرواح أكثر فأكثر، فقد تابع زحفه حتى وصل طنجة على ساحل

---

35 عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق: أحمد بن ميلاد، محمد ادريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبناه/ن، 1987، ص78-79.

36 توفي عبد الملك بن مروان سنة 86هـ/705م، وقد خلفه بعد ذلك ابنه الوليد .

37 عبد الواحد ذنون طه: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 128.

38 عصام محمد شبارو، المرجع نفسه، ص48.

39 وهم عبد الله، عبد الملك، عبد العزيز، ومروان.

المحيط الأطلسي وبعد فتحها ترك فيهاحامية، بقيادة طارق بن زياد وهي قريبة من سبتة وذلك لتشديد الخناق عليها حتى تسقط دون إراقة للدماء وقد نجحت خطته، والتي ستمهد له عبور المغرب الأقصى باتجاه الأندلس[40].

خلاصة: من أهم إصلاحات موسى بن نصير أنه أنشأ ثلاث ولايات جديدة وهي : ولاية المغرب الأقصى وتشمل النصف الشمالي للمملكة المغربية حاليا، ولاية سجلماسة وهي النصف الجنوبي من المملكة والولاية الثالثة و تمتد من الحدود الغربية لولاية أفريقية إلى حدود ولاية المغرب الأقصى[41] كما قام بتعبيد الطرق وبناء المصانع وحفر الآبار والاهتمام بأصحاب العاهات (من بيت مال المسلمين)، فجعل لكل مقعد خادما ولكل ضرير قائد، وكان في نفس التحضير جاريا لفتح الأندلس بقيادة قواد وجيوش من البربر، وفي انتظار الإمدادات العسكرية والأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك.

40 عصام محمد شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-997هـ/ 710-1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002، ص 46 وما بعدها.

41 الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني للنشر والتوزيع، 1994، ص11.

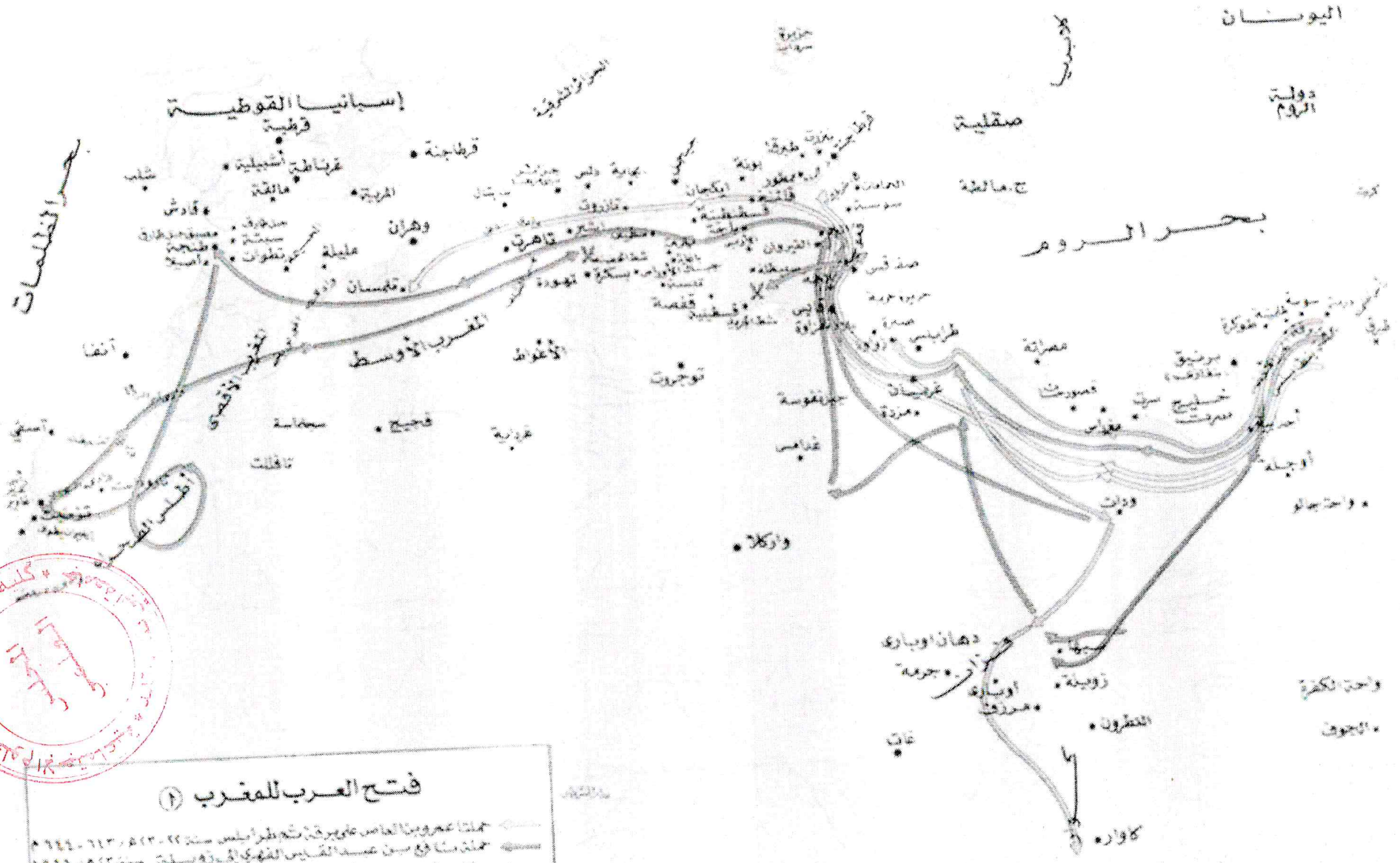

فتح العرب للمغرب (١)

- حملة عمرو بن العاص على برقة ثم طرابلس سنة ٢٢ - ٢٣ هـ / ٦٤٣ - ٦٤٤ م
- حملة عبد الله بن سعد بن أبي السرح الفهري إلى إفريقية سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ م
- حملة عبد الله بن سعد على إفريقية وانتصاره في سبيطلة سنة ٢٧ - ٢٨ هـ / ٦٤٨ - ٦٤٩ م
- حملة بسر بن أرطاة بن معاوية بن حديج على إفريقية سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م
- حملات عقبة بن نافع الأولى على ودان وفزان سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م
- حملة عقبة بن نافع الأولى وإنشاء القيروان سنة ٥٥ - ٥٦ هـ / ٦٧٥ - ٦٧٦ م
- حملة أبي المهاجر دينار حتى تلمسان سنة ٥٥ - ٦٢ هـ / ٦٧٥ - ٦٨١ م
- حملة عقبة بن نافع الكبرى سنة ٦٢ - ٦٣ هـ / ٦٨١ - ٦٨٣ م

كلية العلوم الإنسانية

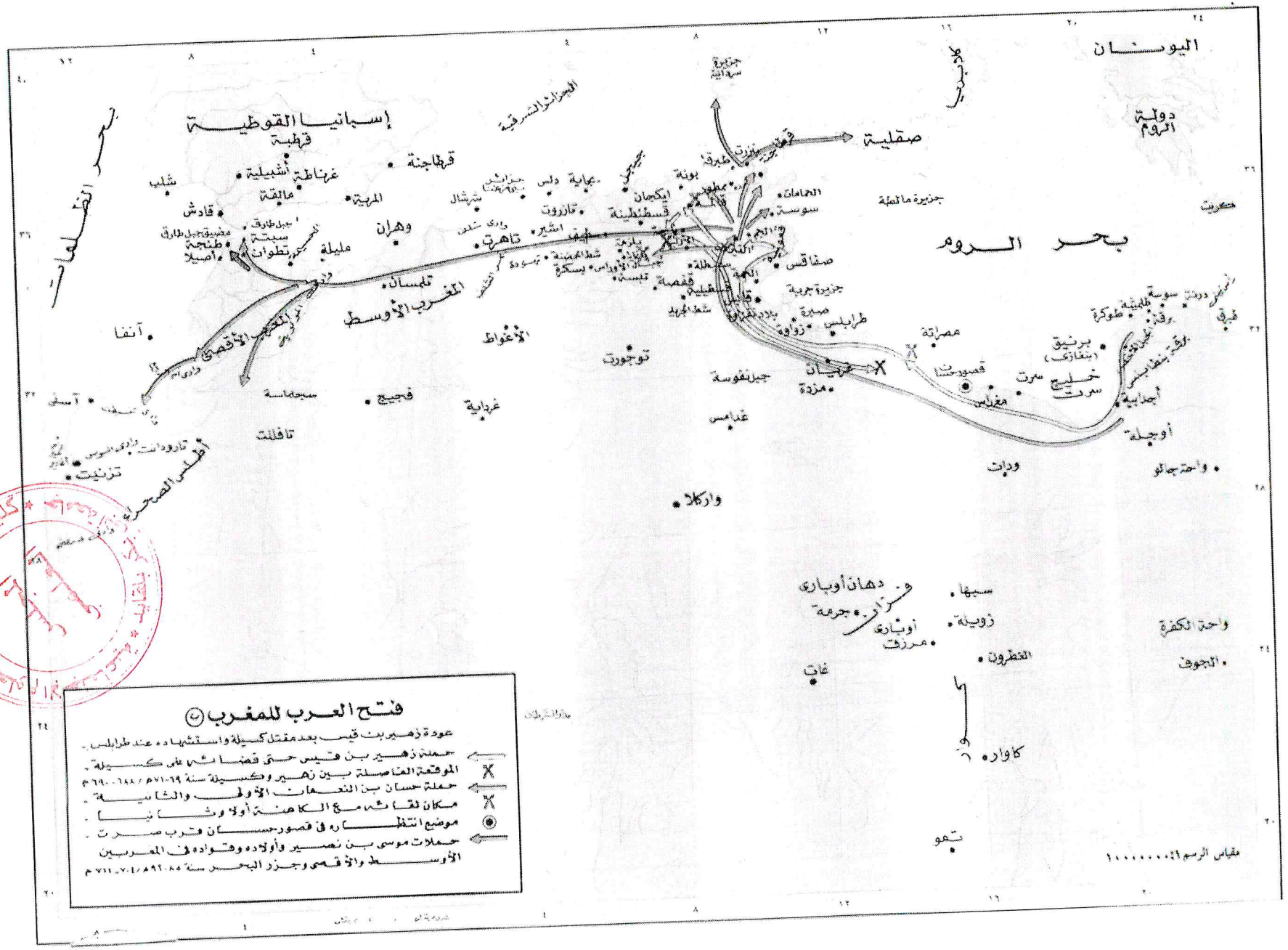

كلية العلوم الإنسانية

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
المجلس العلمي

المحاضرة الثالثة

فـــــتـــــح الأنـــدلـــس (91-97هـ/710-716م)

تمهيد: أطلق لفظ الأندلس في البداية على شبه جزيرة ايبيريا كلها، وهي تقع في جنوب غرب أوروبا، حدودها من جهة الغرب مع المحيط الأطلسي وفي الشرق يحدها البحر المتوسط أما شمالا فسلسلة جبال البرت التي جعلتها في شبه عزلة عن فرنسا وباقي دول القارة الأوروبية، ويحده جنوبا بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) وهو حلقة الوصل بين المغرب والأندلس[42].

كان المجتمع الإسباني عشية الفتح الاسلامي على الصعيد الاجتماعي يتكون من خمس طبقات غير متماسكة ومتصارعة فيما بينها وهي: (طبقة النبلاء، طبقة رجال الدين، طبقة التجار والزراع وصغار الملاك، طبقة العبيد، طبقة اليهود)، ومن الناحية السياسية فقد ضعفت الروح الحربية لدا الاسبان الذين استغرقوا في حياة الترف، وكانت المنافسات والمؤامرات قد كثرت بين المرشحين لحكم إسبانيا القوطية، في الوقت الذي ملك إسبانيا يختار من طبقة النبلاء بحيث يعين عن طريق الانتخاب لا الوراثة من قبل مجلس النبلاء[43].

1- دوافع المسلمين لفتح الأندلس:

تعددت دوافع فتح الأندلس؛ في مرحلة كان البربر قد حملوا على عاتقهم ثقلة تلك المهمة الفتح وقد ساعدهم في ذلك ما يلي:

أ- الدافع الاستراتيجي: المتمثل في الجوار الجغرافي بين المغرب والأندلس، والتقارب العنصري بين الشعبين والتجانس التاريخي منذ التوسع الفينيقي؛ الذي جعل من هاتين المنطقتين اللتين لا يفصل بينهما سوى مضيق جبل طارق بمثابة منطقة استراتيجية واحدة، يكمل كل منهما الآخر.

ب- حث الأمازيغ على الجهاد: لقد استغرق الفتح الاسلامي للمغرب سبعين سنة في منطقة كان الرومان والبيزنطيون قد سيطروا عليها ثمانية قرون ونصف غير أنهم لم يتمكنوا من تحويله إلى إقليم روماني أو بيزنطي في حين اندمج المغاربة في الدولة الاسلامية، وقد كان الأمازيغ تتوق نفوسهم للجهاد.

---

42 كلمة الأندلس اشتقها المسلمون من كلمة "واندلوس" وهي اسم إحدى قبائل الجرمان المعروفة بـ" الوندال" التي عبرت جبال البرت سنة 409م واستقرت في سهولها ، وقد عربت فيما بعد مع الفتح الاسلامي إلى " الأندلس " أو "الأندليش". ينظر: عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-997هـ/ 710-1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002، ص56.

43 المرجع نفسه، صص58-59.

ج- نمو البحرية الاسلامية: لقد أصبحت تونس قد أصبحت قاعدة بحرية حصينة وهي التي مكنت المسلمين من إنجاز المرحلة الأخيرة من مراحل فتح المغرب، فقد اعتمد الفاتحون على سفن مصر حتى سنة 89هـ/708م عندما أسسوا دارا لصناعة في تونس بفضل جهود الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أوعز بذلك إلى حسان بن النعمان الغساني، ثم استكمل موسى بن نصير بناء دار الصناعة وقد ساعده في ذلك أقباط مصر[44].

د- التحالف مع يوليان حاكم سبتة: هناك رواية عربية تترجم لنا رغبة يوليان في مساعدة طارق بن زياد وموسى بن نصير لفتح الأندلس، فالرواية العربية تقول بأن يوليان أراد الثأر لابنته "فلورندا" التي أرسلها إلى إسبانيا عند الملك رودريق (Rodrigo) للتعلم في قصر طليطلة بعد أن اعتدى هذا الأخير على شرفها، وهذه القصة ربما تكون غير واقعية، وحتى إن كانت واقعية لا نراها تمثل سببا وعاملا مباشرا دفعت بيوليان لمساعدة الفاتحين، بينما القصة الإسبانية وربما تكون الأقرب إلى الواقع هي أنه بعد أن سيطر رودريق على الحكم التجأ الملك المخلوع وصاحب الحق وقلة (Achila) بن وتيزا (Witiza) إلى يوليان حاكم سبتة الذي يمت بصلة القرابة والنسب إلى أسرة وتيزا، وطلب منه الاتصال بالعرب لفتح الأندلس واسترجاع حقه في الحكم.

2- حملات فتح الأندلس:

أ- حملة طارق بن زياد(92-93هـ/711-712م):

بعد الغارات الاستطلاعية التي قادها بعض القادة على السواحل الأندلسية، اختار موسى بن نصير قائدا أمازيغيا هو طارق بن زياد وذلك بجيش قوامه سبعة آلاف – وفي رواية أخرى إثنى عشرة ألف- وذلك قصد فتح هذه البلاد، أبحر طارق بن زياد بالجيش من طنجة على بعض السفن وحين وصل قام بالسيطرة على الجبل الاستراتيجي، وبعدها قام طارق ببناء سور حوله، ثم قام بالاستيلاء على قرية قرطاجنة واقام قاعدة عسكرية على الساحل في موضع، حيث أصبحت فيما بعد مدينة يطلق عليها الجزيرة الخضراء.

ب- طارق وفتح طليطلة: (93هـ/712م):

بعد انتصار طارق بن زياد في وادي لكه، اتجه نحو قلعة استجة Ecija وجد فيها مقاومة شديدة وبعدها أرغم طارق صاحب القلعة على الصلح، ثم واصل بجيشه نحو طليطلة، بحيث أرسل ثلاث فرق، إحداها إلى

44 عصام محمد شبارو: المرجع نفسه، ص 58-63.

مالقة Malaga والأخرى إلى البيرة Elvira والثالثة إلى قرطبة، ودخل طارق قرطبة دون مقاومة، فقد وجدها تقريبا خالية تماما ليس فيها إلا اليهود.

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
المجلس العلمي

ج- حملة موسى بن نصير: (93-95هـ/712-714م):

تعتبر مدينة اشبيلية من أعرق مدن الأندلس وأكبرها ولم تسقط بيد موسى بن نصير إلا بعد حصار دام عدة أشهر، تحول بعدها مع جل الجيش نحو مدينة ماردة Merida التي حاصرها مدة ثم دخلها صلحا، وأثناء حصاره لماردة قام أهل اشبيلية على الحامية التي تركها موسى فأرسل لهم جيشا حيث تمكن من استرجاعها[45].

إلتقى بعدها موسى بن نصير بطارق بن زياد وقاما بالتنسيق لفتح الأندلس، سارا معا نحو سرقسطة (95هـ/714م) التي سماها المسلمون" المدينة البيضاء"، بعدها أخذ طارق مساره في الجهة اليسرى فدخل إقليم شية Ejea في حين سار موسى في الضفة اليمنى فافتتح حصن بارو Villabaruz ثم استولى على قلعة سانتا ماريا دي لوغو Santa Maria de lugo بعدها تم الاستيلاء على خيخون، حتى وصل إلى البحر الشمالي عند حدود فرنسا الجنوبية. وقد استمرت الأندلس مقلا من معاقل المسلمين إلى غاية انحصارها في إمارة صغيرة هي " غرناطة" التي قاومت حتى سقوطها سنة 897هـ/1492م وبهذا التاريخ يتوقف تاريخ الأندلس.

بعد هذا الفتح قام موسى بن نصير باختيار اشبيلية عاصمة للأندلس، ثم خرج منها إلى دمشق بحيث مر بالقيروان فمصر ثم فلسطين حتى دخل دمشق في جمادى الأولى 96هـ[46]. لقد أثبت موسى بن نصير وطارق بن زياد في الأندلس أنهما استطاعا أن يصلا إلى أوروبا بعد أن تم الفتح في المغرب.

د- حملة عبد العزيز بن موسى بن نصير وفتح شرق الأندلس (95-97هـ/714-716م):

تولى عبد العزيز بن موسى الأندلس بعد رحيل والده موسى وطارق بن زياد إلى دمشق، فأعد حملة لفتح شرق الأندلس وجنوبه والتي لم يصل إليها الفاتحين موسى وطارق، اتخذ عبد العزيز بن موسى بن نصير الطريق الغربي

---

45 عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق: أحمد بن ميلاد، محمد ادريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبناه/ن، 1987، ص102.

46 عصام محمد شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-997هـ/ 710-1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002، ص69-79.

في الاندلس وقام بفتح مالقة وغرناطة ثم اتجه إلى كورة التي دخلها صلحا مع الأمير (تدمير) والذي تم سنة 96هـ، ثم واصل مساره فدخل برشلونة وجرندة دون مقاومة.

وبقت ثغرة هامة أهملها عبد العزيز أثناء فتح غرب الأندلس، حيث توقف عند إقليم استورقة أو اشتوريش (Asturias) شمال غرب الأندلس، ويعود هذا الإهمال إلى صعوبة المسالك والبرد الشديد، مما ساعد بعض فلول الجسش القوطي بزعامة بلاي (Pelayo) إليها واستقروا بمغاراتها واصبحت تعرف ب كوفادونجا (Cova donga) التي ستصبح فيما بعد نواة دولة إسبانيا المسيحية التي تنطلق منها حركة المقاومة بقيادة بلاي ومن بعد حفيده الملك ألفونسو الأول[47].

3- نتائج الفتح في الأندلس:

لقد تغيرت الخريطة الاجتماعية والسياسة للأندلس بعد إتمام الفتح وظهرت تقسيمات جغرافية غيرت تاريخ المنطقة ويمكن أن نذكر منها ما يلي:

أ- النّتائج الاجتماعية :

عرفت الأندلس بعد فتحها تنوّعا في عناصر سكّانها من حيث الجنس والعقيدة والثّقافة، فلقد ضمّت الأندلس العرب الفاتحين والعرب الوافدين وجماعة من الاسبان المسالمة أي الّذين دخلوا في الإسلام والعجم الذّمّيون أو المستعربين وهم الّذين بقو على دينهم في ظلّ الحكم الإسلامي ثمّ طائفة المولّدين وهم نتاج لتزاوج رجال العرب بنساء الإسبان، ثمّ البربر الّذين دخلوا مع طارق أو الّذين هاجروا من بلاد المغرب[48].

كما أنّ الفتح غيّر أوضاع السّكان بشكل عام، إذ أنّ بعد زوال الحكم القوطي تجمّع زعماء القوط في منطقة جليقة في الشّمال الغربي، وأبقى المسلمون على الّذين ساعدوهم فأعادوا يوليان إلى حكم سبتة وردّت إلى أولاد غطيشة أموالهم وممتلكاتهم وضياعهم كما سمح لبعض النّبلاء والإقطاعيين بالاحتفاظ بأراضيهم[49].

---

47 المرجع نفسه، ص،ص83،95.

48 عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النّهضة العربية،(د – ت)ص 119.

49 محمّد سهيل طقّوش: تاريخ المسلمين في الأندلس،ط1، دار النّفائس، لبنان، 2005، ص 58.

- أحسن المسلمون معاملة الرّقيق الّذين حلّ بهم البؤس والشّقاء قديما، لذلك دخل الكثير من السّكان تحت حكم المسلمين لما شاهدوه من تسامح، كما عاملوا اليهود معاملة حسنة فقد سمحوا لهم بمزاولة التّجارة وأمّنوهم على أنفسهم وأولادهم وأموالهم وسمحوا لهم بحرّية الملكية[50].

ب- النّتائج الاقتصادية :

أمّا من النّاحية الاقتصادية فإنّ المسلمين خفّضوا من الأعباء الضّريبية الثّقيلة الّتي كانت تفرض على الطّبقات العاملة في الزّراعة والصّناعة والتّجارة فألغيت الضّرائب الفادحة وفرضت الجزية على غير المسلمين، وقدّر الخراج على الأرض ولذلك صار المزارعون والعبيد الذين يعملون في الأرض الّتي انتقلت إلى المسلمين يستأجرون الارض أو يعملون فيها ويدفعون جزءا من غلاتها إلى المسلمين وقد نتج عن ذلك ازدهار جميع أوجه النّشاط الاقتصادي[51] .

ج- النّتائج السّياسية :

لقد كسب المسلمون مكسبا إقليميا جديدا أضافوه إلى رقعة دولتهم الواسعة وحقّقوا مكسبا جديدا لدولتهم ورسالتهم ولمواردهم، حيث أزالوا الحكم القوطي وآثاره على البلاد، ولم يبق للقوط شوكة تذكر إلاّ فريقا معتصما في جبال جليقة في الشّمال الغربي وقد آلت ممالكهم إلى المسلمين وأبقى المسلمون على بعض الّذين أعانوهم من حكّام القوط فثبّت يوليان في حكم سبتة وردّت إلى أبناء غطيشة أموالهم وضياعهم[52].

- نظّم المسلمون الأندلس إداريا وأتبعوها بولاية إفريقية وقسّموها إلى أربعة ولايات يدير كلّ ولاية حاكم تابع للوالي الّذي يعيّنه والي إفريقية وأحيانا الخليفة[53] كما أنّ الفتح كان خيرا على إسبانيا فقد انتشلها من الفوضى والنّزاع السّياسي وأحدث فيها ثورة اجتماعية وقضى على مساوئ العهد القوطي الّتي كانت البلاد تعيشها منذ عدّة قرون[54].

4- تقييم النّتائج:

---

50 علي حسين الشّطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة، درا قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2001، ص 58.

51 علي حسين الشّطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة، درا قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2001، ص57.

52 علي حسين الشّطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة، درا قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2001، ص56 – 57.

53 سعدون نصر الله، تاريخ العرب السّياسي في الأندلس، الطّبعة الأولى، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر، بيروت ، 1998، ص26.

54 محمّد سهيل طقّوش:تاريخ المسلمين في الأندلس،ط1، دار النّفائس، لبنان، 2005 ، ص89.

لقد نتج على الفتح تغيير شامل في الوضع الاجتماعي حيث جعل الفرد يشعر بقيمته وكرامته، فقد أنار الفتح العقول بما تحمله من القيم الإسلامية الإنسانية والحضارية، كما عرفت البلاد انتشار اللّغة العربية والدّين الإسلامي، إلاّ أنّ التّوزيع الظّالم للأراضي أدى إلى ثورة البربر على العرب بعد إقصائهم وهم الّذين لعبوا دورا كبيرا في الفتح وأيضا ظهور الصّراع العربي بين قبيلتي القيسية واليمنية .

خلاصة: بسبب عدم إتمام المسلمين لفتح المناطق الشّمالية والوعرة في الأندلس وجنوب بلاد الغال، أدّى إلى فتح الصّراع وتنامي نشاط القوط وقيامهم بحركة عسكرية من أجل استرداد المناطق المفتوحة سابقا، وهذه المد النصراني والعمليات العكسية عرفت في أدبيات التاريخ الإسلامي بما يعرف بحركة الاسترداد الّتي أطاحت بالمسلمين وبحكمهم الّذي دام ثمانية قرون أي إلى غاية 897هـ/1492م.

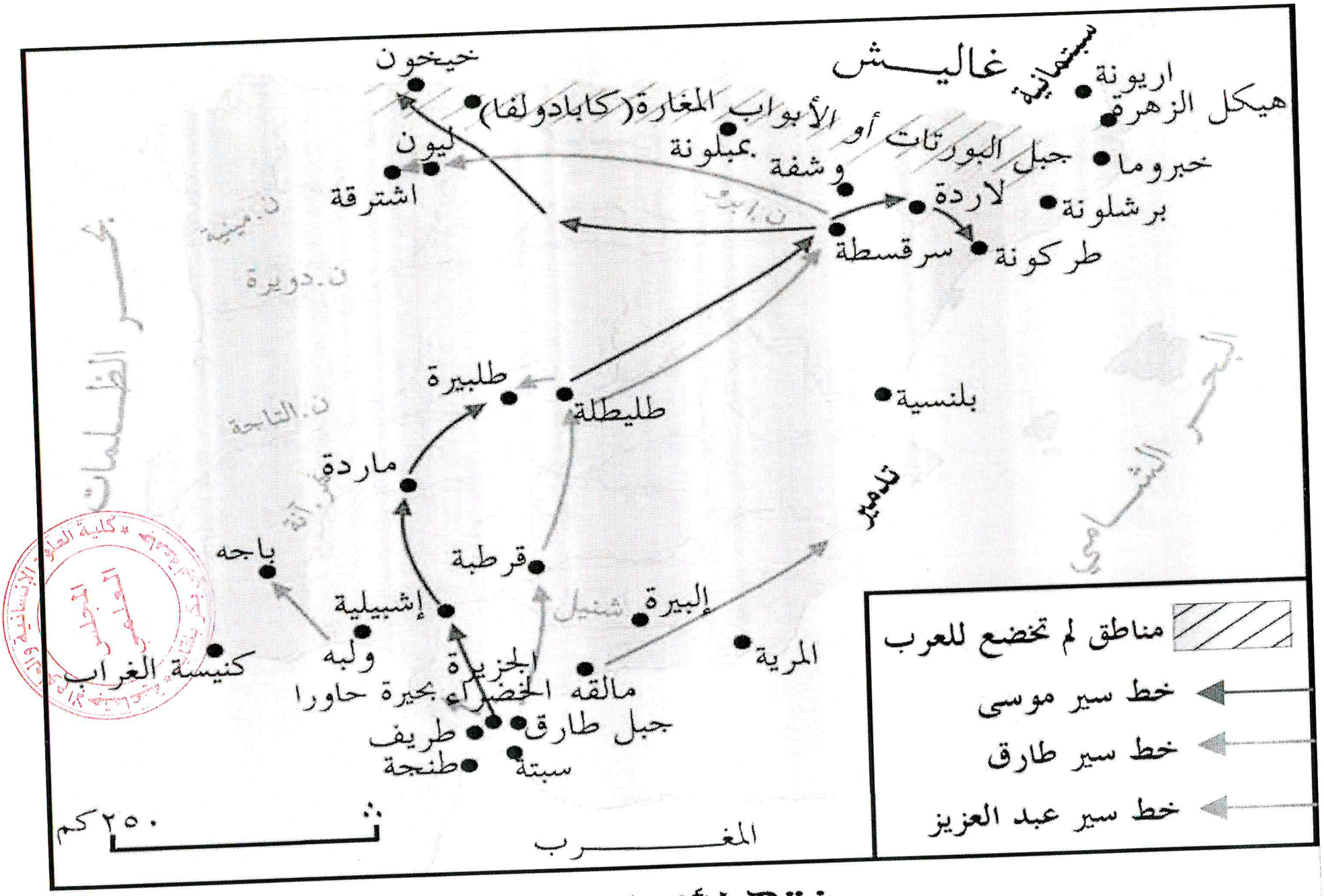
غاليش
خيخون
اشترقة
ليون
أو الأبواب المغارة (كابادولفا)
عمبلونة
وشفة
جبل البورتات
اريونة
هيكل الزهرة
خبروما
برشلونة
لاردة
طركونة
سرقسطة
طلبيرة
طليطلة
بلنسية
ماردة
باجه
قرطبة
إشبيلية
ولبه
كنيسة الغراب
الجزيرة الخضراء
بحيرة حاورا
مالقه
البيرة
المرية
جبل طارق
طريف
طنجة
سبتة
تدمير
شنيل
مناطق لم تخضع للعرب
خط سير موسى
خط سير طارق
خط سير عبد العزيز
٢٥٠ كم
المغرب

فتح الأندلس

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
المجلس العلمي

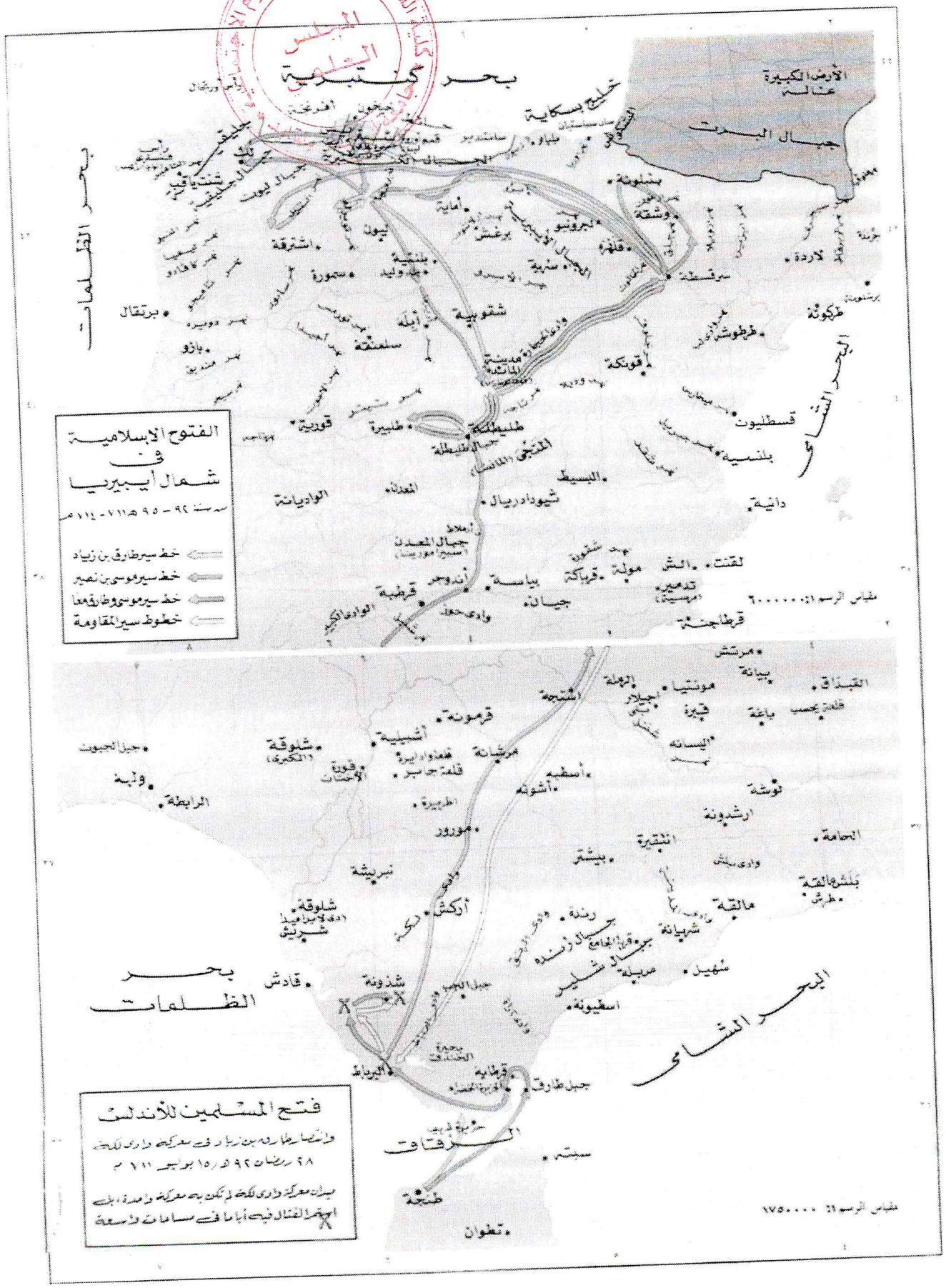

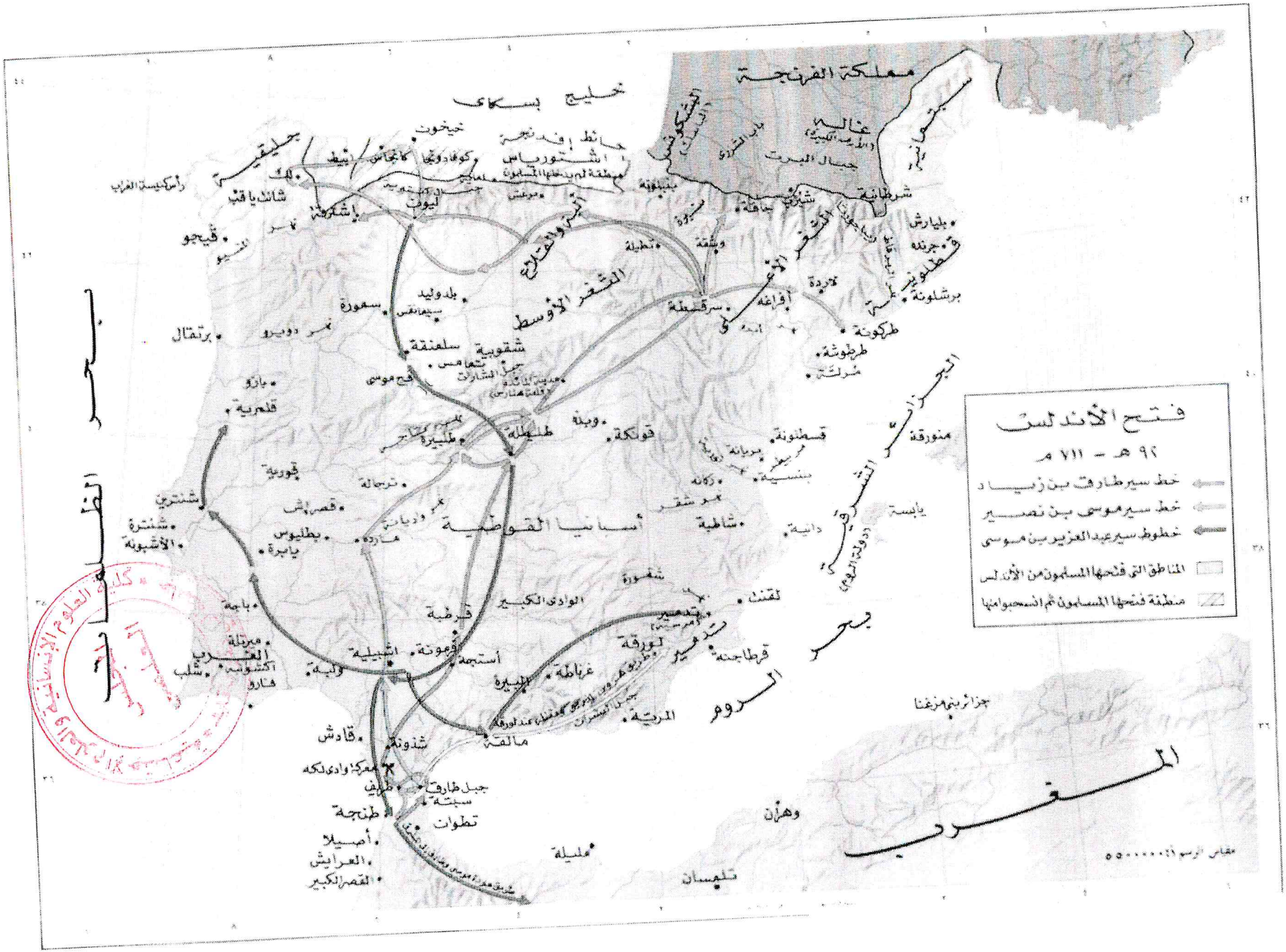

كلية العلوم الإنسانية

المحاضرة الرابعة

المجلس العلمي

عصر الولاة (96-140هـ/715-757م)

تمهيد: يطلق مصطلح عصر الولاة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد عبد الملك لموسى بن نصير سنة 96هـ/715م إلى غاية قيام الدولة المستقلة عن السلطة المركزية (دار الخلافة) في هذه المنطقة بعد ثورات المغاربة كدولة بني مدرار بسجلماسة سنة 140هـ/757م، والدولة الرستمية بتاهرت سنة 161هـ/778م وإمارة البرغواطيين بتامسنا في العقد الثاني من القرن الثاني الهجري، ويدل هذا الإسم ــأي عصر الولاةــ على تحقيب زمني استثنائي يعكس صورة وقائع اجتماعية وسياسية معينة عاشها مجتمع المغرب الإسلامي والأندلس بكامل فئاته وعناصره السكانية، فمنذ ولاية موسى بن نصير أصبح حاكم البلاد أميرا يقيم بالقيروان يعرف بإسم (الوالي) ويتبع مباشرة للخليفة في دمشق[55].

1- لمحة عامة حول عصر الولاة في المغرب الإسلامي:

تولى والي إفريقية تعيين الولاة في الأندلس في معظم الأحيان وكانوا تابعين لإدارته، وفي أحيان أخرى كانت تتدخل الخلافة الأموية مباشرة في تعيين هؤلاء الولاة، وبعض الأحيان كان أهل الأندلس يعينون بأنفسهم ولاتهم، وينتظرون الموافقة إما من والي إفريقية أو من دمشق مقر الخلافة الأموية، وقد بلغ عدد ولاة الأندلس في هذه الفترة بعد عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق عاصة الخلافة الأموية عشرون واليا تولوا حكم المغرب والأندلس لفترة يقدرها المؤرخون 42 سنة[56].

إن جل تطلعات سكان المغرب الإسلامي تؤول إلى تحسين وضعياتهم الإجتماعية، إن لم نقل الحفاظ على ما ألفوه زمن فترة الفتح، فالحاجة إلى أساسيات العيش تدفعهم دفعا مستمرا وكلما اقتضت الضرورة إلى اعتبار كل إجراء أو نظام يحدّ من حرياتهم عودة إلى نظام الإستبداد السابق الذي عاشوا تحت ظله قبل فترة الفتح الإسلامي، إن هذا الشعور الصادق والإحساس بالوعي يتولد كلما تسلل قانون جديد إلى كيانهم الجماعي بوصفهم مجتمعا مركبا، ذلك يعني

---

55 أحمد الزاهد، الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة، مؤسست تاوالت تامغناست، (د- ت)، ص63.

56 عبد الواحد دنون طه، الفتح والإستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، صص285-286/ عبد الرحمان حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1402هـ/1981م، ص131.

أن عصر الولاة إنما سمي بذلك لإحساسهم بالوصاية التي تنتفي عنها قيمة الأخلاق ومبادئ العدالة، ثم إن هذا النظام غير المألوف الذي سيخيم بظلاله القاتمة على المغرب الإسلامي والأندلس لم يقتصر على البربر فقط، بل إن الصراع أخذ بعدا آخر حتى بين العرب القيسيين واليمنيين أنفسهم، فكان ولاة الدولة الأموية في المغرب والأندلس يتعصبون لأبناء جلدتهم، فمثلا كان العرب الذين استقروا في المغرب أيام موسى بن نصير من اليمنية وهم غالبية عرب الفتح فآزروا موسى خلال ولايته ولما عزل وولي يزيد بن مسلم سنة 102هـ طبق سياسة الحجاج العنيفة وخرج وهو يقول:"مالي عذر إن لم أعدل" لأنه كان قيسيا متعصبا لقيسيته وهدفه هو القضاء على نفوذ آل موسى بن نصير[57].

إن عصر الولاة لهو صورة متكلفة بالغة التعقيد إذا ما حاولنا استقراءها استقراء تاريخيا، غير أن ما يمكن أن نراه ماثلا أمامنا هو أن مجتمع المغرب الإسلامي ظل يستذكر بين الفينة والأخرى معالم تلك المأساة التي تعرض لها كسيلة في عهد عقبة بن نافع؛ التي ارتسمت معالمها في أذهانه ويستحضرها كلما استشعر ملامح إقصائه وتهميشه، لذلك نجد أن هناك عدة أسباب وجيهة وراء ثورات البربر ضد الدولة الأموية وولاتها في المغرب الإسلامي، تعلق أغلبها بالسياسة الجبائية والضريبية والتفاوت بين العناصر البربرية والعربية، وأول حادثة تؤرخ لتلك الثورات هي مقتل والي إفريقية يزيد بن مسلم سنة 101هـ أو 102هـ بحيث كان هذا الأخير مولعا بسياسة الحجاج في معاملة المسلمين الجدد: "وكان سبب قتله أنه أراد أن يسير في أهل إفريقية بسيرة الحجاج في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة، فإنه ردهم إلى قراهم، ووضع عليهم الجزية على ما كانوا عليه قبل الإسلام، فلما عزم يزيد بن مسلم على ذلك اجتمع رأي أهل إفريقية على قتله، فقتلوه وولّوا عليهم الوالي الذي كان قبله، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا من طاعة، ولكن يزيد بن مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه، وأعدنا عاملك"[58].

فشراك الوهم الذي نتبضعه كلما أقنعنا أنفسنا أن النحل الخارجية التي رسمت حضوتها بين فئات مجتمع إفريقية هي من أيقضت فيهم حماسة التراب والثورة ضد حكم الولاة، يزول وينقشع أمام أجل مواقفهم التاريخية حين أعادوا

---

57 أحمد الزاهد، المرجع السابق، ص69.

58 النويري أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج21-22، صص238-239.

محمد بن يزيد مولى الأنصار عاملا عليهم ولم يخلعوا عن أنفسهم الطاعة للخليفة، فأبلغ التصورات التي نأخذها كتحليل نفسي لرد أفعال المجتمع وكمبرر تاريخي؛ قد تترجم في تلك المساومات النرجسية التي تعرض لها البربر، وذلك من خلال محاولة يزيد بن مسلم معاملتهم كما يعامل ملوك الروم حرسهم من خلال وشم أيديهم، وهناك نص صريح يمكن ان نقدمه كدليل تاريخي فقدمها سنة اثنتين ومائة، فمكث أشهرا وحرسه البربر خاصة، ليس فيهم أحد من البرانس، فقام يزيد بن أبي مسلم خطيبا على المنبر، فقال: " أيها الناس، إني قد رأيت أن اسم حرسي في أيديهم، كما تفعل ملوك الروم بحرسها، فأسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره (حرسي) ليعرفوا في الناس بذلك من غيرهم، فإذا دفعوا إلى أحد أسرع فيما أمرته به، فلما سمع ذلك حرسه اتفقوا عليه، وغضبوا وقالوا (جعلنا بمزلة النصارى)، ودبّ بعضهم إلى بعض وتعاقدوا على قتله، فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه"[59].

فأبكر الإنطباعات التي تشكلت في أذهان أفراد مجتمع المغرب الإسلامي، قد لا تكون تمثيلا دقيقيا للمشاهد التي يتصورونها في مواقفهم الآنية تلك، ولكن قد يتناسب مقدار مصداقيتها مع مقدار شمولية الإستجابة لها، فمفاهيم القوة والاضطهاد والإخضاع بالنسبة إليهم تتولد من رحم السلطة، ففيم هم آخذين بالتفكير المطرد في كيفية التعامل مع الظروف والمتغيرات المستحدثة، قد يتملكهم شعور بأن صراعهم الذي خلقوا من أجله بدأ حين ولدت السلطة، وعلى هذا الأساس فإنّ المقايضة بين إخفاء ضعفه وبؤسه وشقائه وبين نبل أسياده واستقوائهم واستعلائهم عليهم تكون حتما مبادلة غير مكتلمة محكوم عليه بالفشل.

إن الحالة الإجتماعية لسكان المغرب الإسلامي لَتقف عاجزة أن تبلغ الذروة، فيما هي آخذة بتشكيل كيان مجتمعها منذ أن وطأت أقدام الفاتحين أرضهم، إذ أن موقفهم من الدين الإسلامي في أغلب المواقف لم يكن أقل وضوحا مما هي عليه اليوم، بينما يكون من الطبيعي أن تتسلل أفكار ونحل خارجة إلى البلاد الجديدة تبحث فيه عن مستقر لها، ومن البديهي أن تحتضنه بعض الفئات التي ينتابها الفضول للاحتكاك بثقافة الغير، غير أننا لا نعمم ذلك بوجه حتمي، ونحن نقصد من ورا هذا التلميح إلى أن الحركات الخارجية التي وفدت إلى بلاد المغرب الإسلامي في نهاية القرن الأول

59 الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1994، 62.

الهجري أو بداية القرن الثاني الهجري بقيادة عكرمة مولى ابن العباس الصفري رفقة الداعية الإباضي سلمة بن سعيد[60] لم تكن بتلك الصورة التي يقدّمها لنا نص عبد الرحمان ابن خلدون من خلال قوله:" ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقلة من منبعها بالعراق، وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الإباضية والصفرية "[61].

فدعاة المذاهب الخارجية على ما يبدو لم تُقبل دعوتهم في بداية الأمر[62] من قبل أهل إفريقية، وربما يكون النص الذي أورده ابن الأثير دليلا على ذلك حيث يقول: "ثم لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب إليهم (دعاة) أهل العراق فاستشاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم إلى اليوم، وكانوا يقولون: لا نخالف الأئمة بما تجني العمال، (ولا نحمل ذلك عليهم). فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك. فقالوا: حتى نخبرهم..."[63]، ويمكن أن نستشعر تذمر البربر من سياسة الولاة الأمويين في بلاد المغرب الإسلامي في الشكوى التي قدمها وفد من البربر بزعامة ميسرة المطغري للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بعد أن منعوا من رؤيته من قبل الأبرش معبرين فيه عن سخطهم: "أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا غنمنا نفلهم ويقول: "هذا أخلص لجهادكم"، وإذا حاصرنا مدينة قدمنا وأخرهم ميقول: "هذا ازدياد في الأجر ومثلنا كفى إخوانه، ثم إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقّرون بطونها عن سخالها ويطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد فاحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا؟"[64] ونتيجة لهذه التجاوزات اقتنع أهل إفريقية بدعوة الخوارج واحتضنوا أفكارهم

---

60 بوداود عبيد، ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي (120-132هـ) وتداعياتها، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، عدد خاص، أفريل 2008، ص303.

61 إبن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، نشر خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص144.

62 يمكن كذلك أن نستهد بحادثة تاريخية أوردها ابن الأثير حدثت سنة 154هـ /.....م عندما أحاط أبي قرة اليفريني بعمر بن حفص الأغلبي في طبنة فأرسل إليه مقدم الصفرية بستين ألف درهم لينصرف عنه فرد عليه قائلا:"بعد أن سلم علي بالخلافة أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا، ولم يجبهم إلى ذلك..." إبن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، م5، ص196.

63 إبن الأثير، المصدر نفسه، م2، ص485.

64 المصدر نفسه، صص485-486

التي تجعل من العرب والأمويين مغتصبين للحكم بداية من عثمان بن عفان، وأن الخروج عليهم حق وواجب لأنهم سلبوا أرضهم وممتلكاتهم ونساءهم، وأن من حق كل بربري تولي منصب الخلافة[65].

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
المكتب العلمي

2- ثورات البربر:

أولا: ثورة ميسرة المطغري سنة 122هـ/ 740م:

لقد أظهر زعماء الصفرية مهارة في اختيار مكان إنطلاق ثورتهم، فقد وقع إختيارهم على طنجة الواقعة في المغرب الأقصى البعيدة عن قاعدة إفريقية، مستغلين في ذلك خروج جيش الولاية إلى صقلية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة[66]، وقد تجمع الصفريون على "ميسرة المطغري" أو"المدغري" "المدغوري" المعروف بميسرة السقاء لأنه كان يبيع الماء بسوق القيروان، والرويات تختلف حول أصل ميسرة قائد ثورة الصفريين، فتذهب بعضها إلى أنه من أصل عربي ونتسبه إلى قبيلة الأزد، بينما تؤكد الأخرى –وهي الأرجح- إنتماءه إلى قبيلة مطغرة البربرية، كما اختلف حول كنيته، فقيل ميسرة الحقير، أو الحفيد وقيل الفقير، ويخيل إلينا أن ذلك من نسج خصومه تحقيرا لشأنه، أو ربما أخطاء وردت من قبل النساخ في تهجئة إسمه بطريقة صحيحة[67]، وانظمت إليه برير مكناسة وبرغواطة بزعامة صالح بن طريف، كما انضم إليه الأفارقة في طنجة بزعامة عبد الأعلى بن جريج وبايعه البربر أماما لهم[68].

لقد زحف ميسرة ومن معه إلى إقليم طنجة فقتل عاملها عبد الله المرادي وولى مكانه عبد الأعلى جريج الإفريقي "الرومي الأصل" مولى بن موسى بن نصير، ثم سار إلى السوس وقتل إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقية، ولما سمع عبيد الله بن الحبحاب بثورة ابن ميسرة؛ ولاحتواء الموقف سير إليهم جيشا بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري، ولخطورة الأمر استدعى جيش والده حبيب بن أبي عبيدة المرابط بصقلية وعزز به الجيش الأول[69]

---

65 محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص66.

66 محمد بن عميرة، المرجع نفسه، صص67-68.

67 محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتسف القرت الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1985، صص62-63.

68 إبن الأثير، المصدر السابق، م4، ص416 / السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1999، ص218.

69 السيد عبد العزيز سالم، المرجع تفسه، صص220-221 / بوداود عبيد، المرجع السابق، ص309.

والتقى الجيشان قرب الشلف وآثر جيش حبيب بن أبي عبيدة البقاء هناك ولم يبرحه، فيما التقى جيش خالد بن حبيب مع جيش ميسرة بالقرب من طنجة، غير أن المعركة لم تحسم لأي طرف مما حتم على ميسرة التراجع والانسحاب، لقد أنكر عليه البربر فعلته هذه وسوء سيرته فثاروا عليه وقتلوه وولو عليهم خالد بن حميد الزناتي[70] لكن الحقيقة تبقى نسبية غير مكتملة عن الأسباب الحقيقة وراء خروج البربر عن طاعة ميسرة المطغري وأسباب مقتله، إذ أن المصادر لم تقدم لنا نصوصا مفصلة عن ذلك، وما نعرفه حقا هو إفتراق أصحابه وقواده بعد مقتله ومنهم مغرور بن طالوت وطريف أبو صالح الذي نزل بتامسنا[71].

ثانيا: معركة الأشراف سنة 123هـ/741م:

بعد إفتراق أصحاب وقواد ميسرة المطغري الذين كانوا عونا له في توحيد القبائل البربرية تحت إمرته، لم يقلل ذلك الإفتراق من عزيمته زعيمهم الجديد خالد بن حميد الزناتي على إعادة توحيد القبائل من جديد وتنفيد مخططات جديدة وإعلان ثورة أخرى، فراح يرسم خطته العسكرية حيث شغل خالد بن حميد الزناتي بقسم من جيشه جيش خالد بن حبيب الفهري، بينما فاجأه بقسم آخر من خلف ليعيق إتصاله بجيش حبيب بن أبي عبيدة المرابط عند وادي شلف[72]، وهناك إختلاف في موقعة حدوث العركة غير أن الرأي الأكثر ترجيحا وتداولا بين المؤرخين أنها وقعت بأحواز طنجة، غير أن المتفق عليه أن المعركة سميت بـ"معركة الأشراف"[73] لشرف وعظم ومكانة من قتل فيها من حماة العرب وفرسانها وأبطالها[74] وقتل فيها خالد بن حميد الزناتي، كما أدت هذه المعركة إلى تشجيع جموع البربر إلى الإنضمام إلى الثورة وتوسعت دائرة الثورة في بلاد المغرب الإسلامي حتى بلغت أخبارها أهل الأندلس وقاموا بعزل الوالي عليهم

---

70 الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994، ص67/ ابن الأثير، المصدر السابق، م4، صص416-417.

71 محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص70/ بوداود عبيد، المرجع السابق، ص309.

72 الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص67/ محمود إسماعيل عبد الرزاق . المرجع السابق، ص65 / محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص71.

73 هناك إختلاف بين المؤرخين حول مكان مغركة الأشراف، فإبن خلدون يعتقد بأنها قري مدينة الشلف على اعتبار أن ميدان نشاط الخوارج قد انتقل إلى المغرب الأوسط (بلاد قبائل زناتة)، بينما المؤرخين الآخرين جعلوا موقعها بشمال المغرب الأقصى، وربما يكون الخطأ قد وقع في نص إبن خلدون بحيث أخطأ النساخ في كتابة كلمة "سبو" وليس "شلف". ينظر الإحالة رقم (4) الخاصة بكتاب محمد بن عميرة، المرجع السالق، ص71.

74 إبن الأثير، المصدر السابق، م4، ص417

عقبة بن الحجاج، ولما وصلت الأخبار إلى هشام بن عبد الملك استدعى عبيد الله بن الحبحاب وعين على ولاية المغرب كلثوم بن عياض القشيري سنة 123هـ/ 741م[75].

ثالثا: معركة بقدورة سنة 124هـ/ 742م:

لقد استهل والي بلاد المغرب الجديد" كلثوم بن عياض القشيري" بالتوجه لقتال خالد بن حميد الزناتي، بحيث سير الخليفة الأموي هشام مع عبد الملك إثنا عشر ألف جندي من الشام، وكتب إلى سائر ولاة المناطق التي يمر بها في طريقه تأمرهم بإمداده بالجيوش على حسب ما تذكر بعض المصادر، وما يمكن أن نلاحظه هو أن بوادر الضعف والإخفاق بدأت تلوح في الأفق، فمن جهة كان جيشه غير متناسق وغير متجانس ومتآلف، إذ كانت عناصره مختلطة من القيسية واليمنية والمتطوعين والأمويين[76]، ومن جهة أخرى احتدم الصراع بين كلثوم وقائد جيشه "بلج بن بشر بن صفوان" وبين حبيب بن أبي عبيدة الذي كان موافقا للبربر بتلمسان[77].

إلتقى الجيشان الأموي مع جيش خالد بن حميد الزناتي بالقرب نب طنجة بمكان يسمى "بقدروة" سنة 124هـ/ 742م على واد نهر سبو، انتهت بهزيمة الجيش الأموي بسبب أخطاء تكتيكية عسكرية بالإضافة إلى التفوق العددي للجيش الصفري حسب ما يذكر صاحب أخبار مجوعة[78]، فقتل ثلث الجيش الأموي ومن بينهم كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة، أما بلج فقد تمكن من الفرار بمن بقي من الجيش نحو طنجة على رأس عشوة آلاف جندي وعادت فلول الجيش المتبقى إلى إفريقية بعشرة آلاف جندي كذلك[79].

رابعا: ثورة عكاشة بن أيوب الفزازي وعبد الواحد بن يزيذ الهواري:

---

75 المصدر نفسه، ص417.

76 محمد بن عميرة، المرجع السابق، صص72-73/ محمود إسماعيل عبد الرزاق . المرجع السابق، صص66-67.

77 كان السبب الأول الخطاب الذي أرسله حبيب بن أبي عبيدة المرابط بتلمسان إلى كلثوم بن عياض القشيري وقائد جيشه بلج بن بشر بن صفوان، إثر شكوى أهل أفريقة من سوء معاملة القائدين الجديدين لهم بحيث "لقياهم بالجفاء والتكبر"، ما اضطر هذين الأخيرين إلى التوجه إلى تلمسان وقام كلثوم بالاستخفاف بحبيب وسبه، والسبب الثاني هو رفض كلثوم وقائد جيشه بلج إقتراح قدمه حبيب بن أبي عبيدة لبمواجهة البربر وفق خطة عسكرية بجعل "الرجالة للرجالة والخيل للخيالة". ابن الأثير، المصدر السابق، م4، ص417.

78 مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكؤ أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1989، صص 38-40.

79 محمود إسماعيل عبد الرزاق . المرجع السابق، صص68-69.

بعد الهزيمة التي حلت بالجيش الأموي في معركة بقدورة سنة 124هـ/ 742م أدرك الخليفة هشام بن عبد الملك أن المسألة تحتاج إلى مدد كبير وإلى قواد أكفاء لمواجهة الخطر الصفري المتنامي؛ الذي بات يشكل عبءً كبيرا ونذير شؤم بخروج المغرب الإسلامي والأندلس عن طاعة الخليفة، لذلك وجه ثلاثين ألف من الجند إلى عامله على مصر "حنضلة بن صفوان"[80] وما يمكن أن نلحظه هو أن شخصيتين برزتا على مسرح الأحداث وشجتهما الإنتصارات التي حققتها المعارك الصفرية السابق، وهما عكاشة بن أيوب الفزازي وعبد الواحد بن يزيد الهواري وقد عملا بالتنسق معا لاحتلال مدينة القيروان[81].

حاول حنضلة بن صفوان الكلبي مقاتلة كل طرفع على حدة، فأسرع إلى لقاء عكاشة الصفري بموضع قرب القيروان يسمى "القرن" ووقعت بينهما معركة انتهت بهزيمة الجيش الصفري، ثم أسرع حنضلة بالدخول إلى القيروان خشية أن يحتلها عبد الواحد بن يزيد الهواري وكون جيشا من أربعين ألف مقاتل بعدما استنفر أهل أفريقية على القتال ووزع عليهم المال والسلاح للدفاع عن مدينتهم، وبعد حروب سجال وقعت بين الجيشين الأموي والصفري في باجة، كانت المعركة الفاصلة في موقع يسمى "الأصنام" كانت فيه الغلبة والإنتصار للجيش الأمري بقيادة حنظلة ومقتل عبد الواحد بن يزيد الهواري، وأخذ عكاشة أسيرا بعدما تم القبض عليهم في نواحي إفريقية من قبل البربر المناوئين للجيش الأموي وأتوا به حنظلة فقتله[82].

كان إنتصار حنظلة بن صفوان الكلبي في معركة "القرن و لأصنام" تحولا وتحقيبا تاريخا جديدا في تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس من السقوط والزوال في يد الصفرية التي ما انفكت تتعاظم، وفي نفس الوقت أعطى دفعة قوية للمذهب السني الذي أصبح المجال مفتوحا أمامه للإنتشار واستقطاب كثير من المريدين والأتباع.

خلاصة: ما يمكن أن نقوله إلى غاية كتابة هذه الأسطر هو أن تلك الثورات الصفرية غيرت كثيرا من ملامح وضروب عيش المجتمع البربري، إذ أنه مباشرة بعد إخماد هذه الثورات قلت الأفكار الخارجية المتطرفة وأصبح إحتاضنها قائما على أسس ومبادئ تتوافق مع مبدأ التعايش وظهر مجوعة من الدويلات المستقلة "سنية وصفرية وإباضية"، غير

---

80 الرقيق القيرواني، المصدر السابق، صص 28-29/ مجهول، المصدر السابق، صص40-41/ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص78.

81 بوداود عبيد، المرجع السابق، ص311.

82 الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص71/ مجهول، المصدر السابق، ص41/ محمد بن عميرة، المرجع السابق، صص79-80/ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، صص 227-229.

أن المذهب الصفري سرعان من تلاشى مع انهيار وسقوط دولة بني مدار بسجلماسة، ولم يبق اليوم في هذه المنطقة أثر للأفكار الخارجية الصفرية بسبب ما كانت تتصف به من أفكار تطرفية وخروج عن الجماعة.

أكاديمية المملكة المغربية
المجلس العلمي
مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

المحاضرة الخامسة

الدولة الرستمية (160-296هـ/676-909م)

تمهيد: بعد الإنهزامات المتوالية التي منيت بها جيوش الدولة الأموية في بلاد المغرب الإسلامي خلال عصر الولاة، صعبت عليها مأمورية استرجاع ما ضاع منها من تلك البلاد، خصوصا وأن أتباع مذهبي الصفرية والإباضية قد ازداد تعلقهم بتلك الأرض وتمسكهم بها أكثر من أي وقت مضى، ثم إنّ ذلك التجاور فيما بينهما في نفس الإطار الجغرافي قد يخلق هو الآخر نعرات وصراعات رغبة في الإنفراد بحكم بلاد المغرب الإسلامي، فقد استفاد دعاة الأباضية من الأحوال المضطربة لنشر مذهبهم على نطاق واسع، وقد ساعدهم على ذلك أن كثيرا من عامة البربر رفضوا سلوك الصفرية ولم يكونوا راضين عن التطرف والتشدد، بحيث كانت ثورات الصفرية شرا مستطيرا على البربر ومصالحهم، وقد بلغ هذا الشر مداه عندما استولت قبيلة "ورفجومة" على القيروان بقيادة أميرها "عاصم بن جميل" وادعى النبوة والكهانة، وأسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من الآذان[83].

1- إنتشار دعوة الخوارج الإباضيين:

إن هذه الممارسات باعتبارها كوسائل ودلائل تاريخية؛ تبرر انتشار المذهب الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي، بحكم أنه أقرب المذاهب الخارجية إلى المذهب السني وحصوله على حضوة بين سكان المنطقة، وعلى هذا الأساس نجح دعاة الإباضية في تنظيم صفوفهم من جديد وتولية مهمة تأسيس دولة مستقلة في بلاد المغرب إلى حملة العلم الخمسة: (أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، عبد الرحمان بن رستم الفارسي، عاصم السدراتي، أبو داود القبلي النفزاوي، إسماعيل بن درار الغدامسي) الذين درسوا أصول المذهب الإباضي في البصرة على يد داعية الأباضية الأكبر "أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة" ويذكر الشماخي أن رجال الإباضية تشاورا على تولية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إماما لهم[84].

---

83 محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ-296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1408هـ/1987م، صص66-67.

84 محمد زينهم محمد عزب، قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2013، ص55.

استولى أبو الخطاب المعافري على طرابلس بعد مبايعته واتخذها مقرا له، وما إن انتهى من تنظيم شؤنها توغل أكثر في بلاد المغرب حيث توجه إلى القيروان بعدما وصلته أنباء عن الفضائع التي ترتكبها قبيلة "ورفجومة" فنظم شؤونها وقبل توجهه إلى المغرب الأوسط حاملا معه الفكر الإباضي، رشحت أئمة الإباضية وعامة المجتمع شخصية عبد الرحمان بن رستم لتولية شؤون القيروان، وما كانت تعيشه بلاد المغرب الإسلامي من تطورات ومستجدات لم تكن بمعزل عن التطورات الحاصلة في بلاد المشرق، حيث أن الدولة العباسية حلت محل الدولة الأموية، وأصر أبو جعفر المنصور هو الآخر على مواصلة المحاولة في استرجاع البلاد المفتوحة لسلطته، فقد أمر "محمد بن الأشعث" بتحريك جيشه لملاقاة فلول الإباضية في موطنهم، وفي سنة (144هـ/761م) تمكن "إبن الإشعث" من هزيمة أبو الخطاب وجيشه وانتهت المعركة بمقتل إمام لإباضية ليبدأ بعد ذلك عهد جديد.

2- تأسيس الدولة الرستمية:

إن اختيار عبد الرحمان بن رستم للمغرب الأوسط كقبلة لتأسيس للدولة الرستمية لم يكن عبثيا أو اعتباطيا، فبعد الكارثة التي حلت بالإباضيين وخيمت بظلالها القاتمة عليهم، كان للعامل الجغرافي البعيد جدا عن مراكز الدولة العباسية أحد أهم الأسس التي يجب دراستها والتركيز عليها، حيث أن نجاح الإباضية في منطقة يسودها المذهب السني أصبح ضربا من الوهم يكاد أن يحكم على مشروعهم بالموت قبل ميلاده، لذلك كانت تاهرت في المغرب الأوسط وفق منظورهم هي المكان الطبيعي الذي يكفل لهم غايتهم تلك.

لقد لجأ عبد الرحمان بن رستم إلى سفح جبل "سوفجج" وكان هذا الجبل موطن قبائل (لماية، لواتة، هوارة)، وهي قبائل كانت قوية الصلة بالمذهب الإباضي، ومباشرة بعد أن بلغت أصداء عبد الرحمان بن رستم ومن معه من الإباضيين اجتمع عنده ستون شيخا من شيوخ الإباضية من طرابلس جبل نفوسة ووفدت عليه أعداد هائلة من النفوسين[85].

3- بناء تاهرت عاصمة الدولة الرستمية:

---

85 أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق أسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص71/ جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص30.

رأى عبد الرحمان بن رستم بعد أن بويع بالإمامة أن يتخذ لدولته الفتية عاصمة يباشر منها مهامه، شأنه في ذلك شأن الدول المستقلة الأخرى وسيرا على خطاهم ومناهجهم في تأسيس الدول، وكان عليه أن يوفر لهذه العاصمة كل عناصر الأمن والرخاء، وبعد مشاورة أهل العلم والخبرة بالأرض في اختيار وقع جغرافي لذلك وقع اختيارهم على موضع يسمى "تاهرت" وقد جاء اختيار هذا الموقع وليد الظروف الصعبة التي واجهت قيام الدولة الرستمية ومراعاة للمميزات والخصائص الآتية: أولا: أنها بعيدة عن خطر العباسيين بحيث يصعب وصولهم إليها، ثانيا: تقع في منطقة داخلية منطوية على نفسها، محاطة بقبائل موالية للمذهب الإباضي منها: (لواتة، هوارة، مطماطة، زناتة، مكناسة)، ثالثا: الموقع الإستراتيجي الإقتصادي لتاهرت الذي يسمح لها بأن تكون حاضرة اقتصادية، بحيث أنها تتوسط التل والصحراء وتقع ضمن شبكة الطرق التجارية بين الغرب والشرق والشمال والجنوب[86].

أما تخطيط تاهرت فقد جرى على النحو الذي اتبع في بناء المدن الإسلامية الكبرى، بحيث تساعد على انصهار أفراد المجتمع واندماجهم وتكوين مجتمع مركب، وبذلك اختط الإباضية المسجد الجامع الذي يعد أهم ركائز العمارة الإسلامية أوحد الأسس الهامة في تشييد المدن والعواصم، واستعانوا ببنائه بأخشاب شجر الشعراء المنتشر في المنطقة، وحول المسجد انتشرت الدور والقصور والبيوت والأسواق والحمامات والفنادق، وأحاطو المدينة بسور محكم شيد من الصخر، وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ بناء تاهرت، فابن خلدون يرجع تأسيسها إلى سنة 144هـ/761م أي في السنة التي فر فيها عبد الرحمان بن رستم من القيروان إلى المغرب الأوسط، بينما إبن عذاري فيرجعها إلى سنة 161هـ/778م[87] ومن هنا نجد أن رواية ابن عذاري هي الأقرب إلى الحقيقة وفق ما لدينا من الدلائل التاريخية وتراتبية الأحداث.

4- نظام الحكم:

اتسم نظام الحكم في مطلع قيام الدولة بالبساطة، فقد اتخذ حاكم الدولة لنفسه لقب "إمام"، وبمقتضى ذلك أصبح رئيس الدولة مصدرا لجميع السلطات دينية كانت أن سياسية، ويبدو أن اختيار الإباضية لذلك اللقب كان نابعا من

86 محمد زينهم محمد عزب، المرجع السابق، صص78-80.

87 ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، ص196.

تأثرهم بنظية الشيعة عن الإمامة الظاهرة والإمامة المستترة، وربما كان سلوك الإباضية هذا المسلك يوحي بتأثرهم بالتنظيمات السرية للدعوة الشيعية في المشرق، كما أن الإباضية كانوا يختارون الإمام وفق شروط معينة منها: يجب أن تتم له البيعة علنا، يجب أن يكون من حملة العلم، ألاّ قبيلة له تمنعه إذا تغير عن طريق العدل، وقد شهد الفكر السياسي للخوارج تطورا ملحوظا حين تحول تعيين لإمام أو الحاكم من مبدأ الانتخاب العام إلى نظام التوريث باستخدام عبد الرحمان بن رستم أسلوب عمر بن الخطاب ﷺ، وهذا يعني التغلب على الطابع الديني في نظام الحكم الرستمي وتحوا الإمامة إلى سلطة مركزية أشبه بالملكية المطلقة[88].

أما من الناحية الإدارية فإن الدولة الرستمية قد قسمت إلى عمالات في شرق الدولة وغربها، يحكمها الولاة الذين تسند إليهم مهمة جباية الضرائب، واعتمدوا على نظام السجلات وتأمين الوثائق التي استمدت جذورها من الفكر الفارسي، كما أنشأوا نظام الشرطة للحفاظ على الأمن والاستقرار، ووضعوا نظاما قضائيا يعتمد على أحكام وشرائع المذهب الإباضي[89].

لقد شهدت الدولة الرستمية وخاصة عصمتها تيهرت تعايشا يكاد يكون استثنائيا في تاريخ المغرب الإسلامي، فقد فتحت رحابة صدرها لكثير من فئات المجتمع، وقصدتها الأجناس على اختلاف أنماطهم الفكرية وانتماءاتهم، فعاش فيها اليهود والنصارى مع الإباضين جنبا إلى جنب، استقر فيها كثر من العجم والعرب والسودانيين والأوروبيين من صقلية وإيطاليا والأندلس والجزر الأخرى القريبة من المغرب، وكانوا يتوافدون عليها للتجارة أو العمل أو الإقامة، كما قصدتها بعض الطوائف الإسلامية من المشرق فاستوطنها الكوفيون والبصريون من أهل العراق والخراسانيون والمصريون وغيرهم[90].

5- الحياة الفكرية:

كانت الدولة الرستمية دولة الحرية الفكرية وحرية الإعتقاد وحرية الكلام في حدود الدين الإسلامي، وكان إحترام المذاهب الإسلامية أحد أسس ذلك التعايش حيث عرفت الدولة الرستمية وجود المذهب المالكي والمعتزلي والصفري

---

88 محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1429 هـ /2008م، ص118/ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، صص224-225.

89 محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010، ج3، ص286.

90 المرجع نفسه، صص298-299.

ومذهب أهل الكوفة من العراق وبعض المذاهب الموجودة في المشرق، وكانت المناظرات القائمة على الحجج والبراهين والمعقولية هي ما تطبع الحياة العلمية بين مختلف المذاهب والتوجهات الفكرية، ويروي لنا ابن الصغير المالكي الذي عاش في تيهرت أيام الدولة الرستمية واصفا ذلك: "وكانت مساجدهم عامرة، وجامعهم يجتمعون فيه، وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئا، إلا أن الفقهاء تباحثت فيما بينها، وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها (كذا)، ومن أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى خلق غيرهم كان سبيله كذلك"[91].

خلاصة: دامت دولة الرستميين قرنا ونصف من الزمن تقريبا، وقد سقطت دولتهم نتيجة تعاظم قوى الدولة الفاطمية الشيعة، التي اجتثت كل الدول القائمة في عصرها سنة 296هـ/909م، وكان الذي قضى على دولتهم هو أبو عبد الله الشيعي؛ الذي مر في طريق عودته من سجلماسة بتاهرت وخربها وقضى على الوجود الرستمي، وجعل المغرب الأوسط ولاية فاطمية تابعة لإفريقية، وعندما غزت العرب الهلالية إفريقية والمغرب في القرن 5هـ/11م زال المذهب الإباضي وحل محله المذهب السني، ولم تبق من الفرق الإباضية إلا في نواحي بني مزاب في غرداية.

91 ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406 هـ /1986م، ص117.

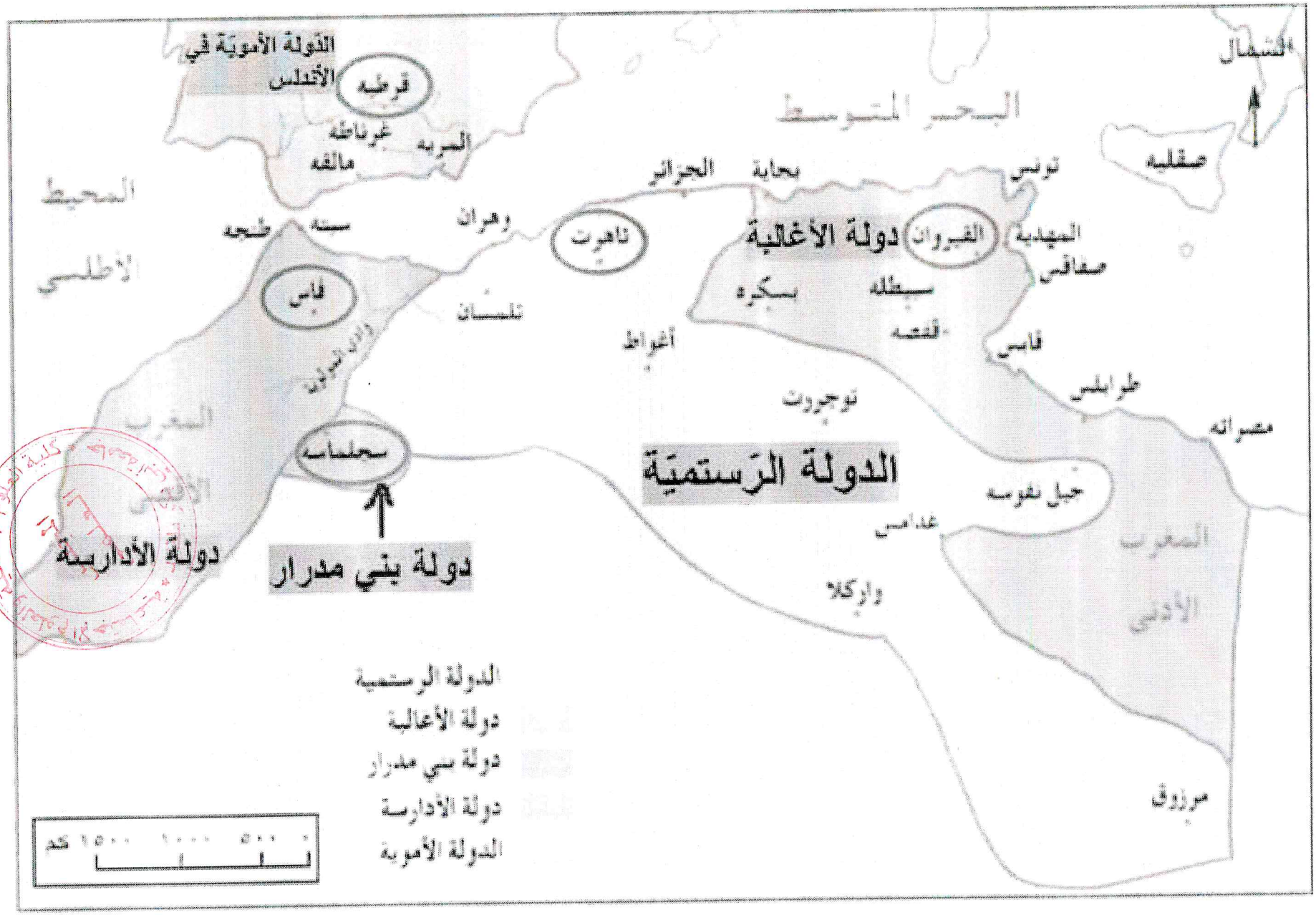

الدولة الرستمية والدول المجاورة لها

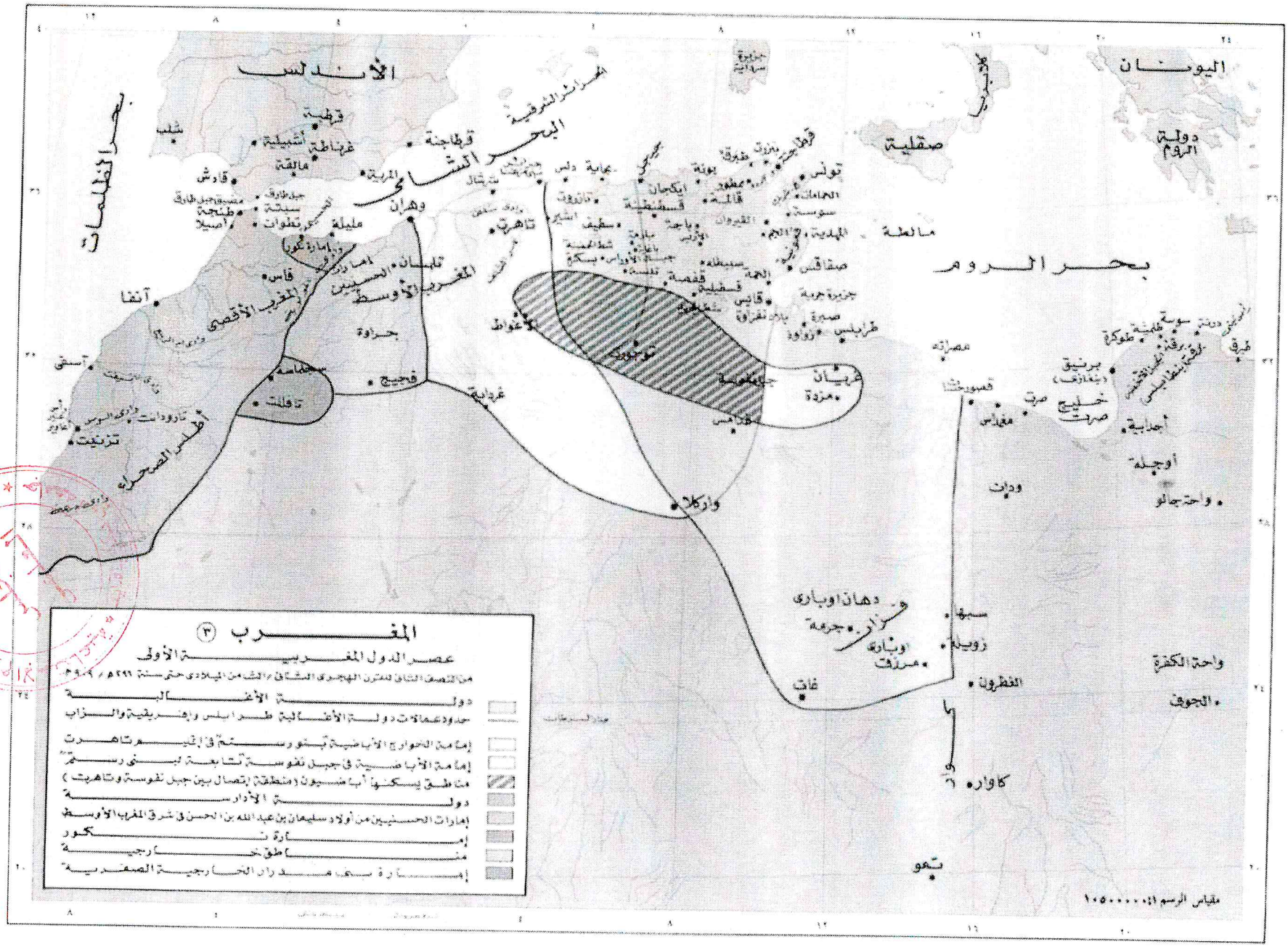

المغرب ③

عصر الدول المغربية الأولى

من النصف الثاني للقرن الهجري السابع / الثالث من الميلادي حتى سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م

- دولة الأغالبة
- حدود ممتلكات دولة الأغالبة طرابلس وإفريقية والزاب
- إمامة الخوارج الأباضية بتيوررست في إقليم تاهرت
- إمامة الأباضية في جبل نفوسة تابعة لبني رستم
- مناطق يسكنها أباضيون (منطقة إتصال بين جبل نفوسة وتاهرت)
- دولة الأدارسة
- إمارات الحسنيين من أولاد سليمان بن عبد الله بن الحسن في شرق المغرب الأوسط
- إمارة بني مكي
- مناطق خارجية
- إمارة بني مدرار الخارجية الصفرية

كلية العلوم الإنسانية

المحاضرة السادسة

دولة الأدارسة في المغرب الأقصى (172-375هـ/788-985م)

تمهيد: تنسب الدولة الإدريسية إلى مؤسسها إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومن الأخطاء الشائعة القول بأن الأدارسة دولة شيعية[92]، لأن مؤسسيها وأمرائها كانوا من آل البيت، فالحقيقة أن الأدارسة رغم علويتهم لم يكونوا شيعيين، فقد كانوا سنيين ولم يعرفوا في بلادهم غير الفقه السني المالكي، والوصف الحقيقي لهذه الدولة أنها كانت علوية هاشمية، فهي أول تجربة نجح فيها آل البيت في إقامة دولة لأنفسهم بعيدا عن مركز الخلافة في المشرق.

1- بداية تأسيس الدولة:

في عهد الخليفة المهدي العباسي أوقع فيها العباسيون جماعة من العلويين من أحفاد الحسن بن علي، الذين كانوا يدعون لأنفسهم ويطمحون لتأسيس دولة مستقلة بهم بعديا عن مركز الخلافة العباسية في مأساة عرفت في التاريخ الإسلامي بـ (موقعة فخ) سنة 169هـ/786م، وكان من أحد القلائل الذين نجوا من تلك المجزرة أحفاد علي كرم الله وجهه: يحيى بن عبد الله الذي فر إلى إقليم "الديلم" جنوب بحر قزوين، وسليمان الذي أنشا لنفسه كيانا بمعونة أخيه إدريس كيانا في تلمسان عرفت بالدولة الحسينية أو السليمانية، بينما فر إدريس بجلده واتجه نحو مصر في بداية الأمر ثم منها إلى المغرب الأقصى[93].

تذكر الروايات التاريخية أنه لما كان إدريس مستقرا في مصر لاقاه صاحب البريد "صالح بن أبي حفر المنصور" في مخبئه ثم أرسله مع قافلة البريد خشة عليه من عيون بني العباس لأنه قافلة البريد كانت معفية من التفتيش، وكان قد أرسل معه "المولى راشد"، ولا نعلم على وجه التدقيق أصل راشد غير أن معظم المصادر تتفق على أنه من أصل

---

92 من هؤلاء الباحثين الذين يعتقدون أن الدولة الإدريسية هي دولة شيعية نذكر كل من : محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ/2008، صص24-25/ محمود إسماعيل، الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ/1991م.

93 يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 1431هـ/2010م، ص56.

بربري الأصل[94] فهو بذلك يعرف اللسان البربري الذي يتكلم به الناس في نواحي المغرب الأقصى، ويعتقد بعض المؤرخين أن إدريس وراشد[95] خرجا في زي التجار فكان راشد هو السيد وإدريس خادمه يأمره أمام الناس فيطيع أمره وذلك ليخفي شخصيته.

إمتدت رحلة إدريس ومولاه راشد من مصر إلى القيروان ثم إلى تلمسان حتى وصلا إلى طنجة التي كانت عاصمة المغرب في ذلك الوقت، غير أن إدراكهما لمركز المغرب الحقيقي جعلهما يغيران الوجهة نحو (مدينة وليلي) حيث استجار بأميرها اسحاق بن محمود عبد الحميد زعيم قبيلة "أوربة"[96] فأجاره وأعجب الأمير بعلمه وتقواه فتنازل له عن الامارة ثم جمع له قبيلته وبايعته قبائل غمارة وزوارو ومكناسة وسدراتة ونفزة سنة172هـ/ 788 م.

لقد تنبه هارون الرشيد لما يحاك ضد دولة العباسيين من خلال تأسيس إدريس لدولته العلوية في المغرب الأقصى، لهذا تدارس أمر إدريس مع جفر البرمكي وقال قولته المشهورة:" إن الرجل -أي إدريس- قد فتح تلمسان وهي باب إفريقية، ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار، وإني هممت أن أبعث إليه جيشا ثم فكرت في بعد الشقة وعظم المشقة، ولا طاقة لجيوش العراق على الوصول إلى السوس من أرض المغرب فرجعت عن ذلك" وكان رأي الوزير أن يبعث رجل ذو خبرة ومهارة ليقتله، وبالفعل هذا ما لجأ إليه الرشيد، حيث أنه كلف شخصا يسمى سليمان بن جرير ويكنى بـ "الشماخ" الذي قام باغتياله عن طريق السم الذي دسه له في الطيب (أي العطر) كما تقول الروايات التاريخية[97].

بعد وفاة إدريس الأكبر سنة 177هـ/793م لم يترك وريثا شرعيا سوى إحدى جواريه تسمى (كنزة) حاملا في شهرها السابع، فاتفق رؤساء وشيوخ القبائل على أن ينتظروا حتى تلد (كنزة)، فإذاولدت غلاما كان أميرهم ويسمونه على إسم أبيه ويبايعونه وهو في المهد، وإذا كانت ولدت جارية نظروا في أمورهم في إمارة أنفسهم، ولما ولد إدريس قاموا بمبايعته وهو رضيع، ثم أعيدت له البيعة وهو في سن العاشرة من عمره سنة 186هـ/793م، وقد كان في هذه المرحلة

---

94 سعدون عباس نصر الله، دولة الادارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1987م، ص67.

95 يقول السنوسي: "وراشد بن منصت الأوربي كان قد سبي مع أبيه في غزوة موسى بن نصير، وقفل مع أبيه إلى المشرق وهو صغير، ثم أتى مع مولانا إدريس ودله على المغرب" محمود إسماعيل، المرجع نفسه، ص49.

96 محمود إسماعيل، المرجع نفسه، ص49.

97 سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، صص81-82.

المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد

تحت وصاية (المولى راشد) ثم تحت وصاية أبو خالد يزيد بن إلياس العبدري البربري الذي عينه (راشد) بعد أن بلغه الكبر والشيخوخة.

بلغت الدولة الإدريسية في عهد إدريس الثاني أقصى اتساع لها، إذ امتدت من وادي الشلف بالمغرب الأوسط شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا، فقد سادها الامن والاستقرار وانصرف الإمام إلى تنظيم شؤونها، فنشر الإسلام في أصقاعها النائية التي لم يصلها والده (إدريس الأكبر)، وطبق أحكام الشريعة الإسلامية وجبى الأموال المستحقة[98]، غير أنه بعد وفاته نجد أن ابنه وخليفته محمد بن إدريس يتصرف تصرفا غريبا وغير مسؤول، فيقوم بناء على نصيحة جدته كنزة بتقسيم الدولة بين إخوته الكثر، بدل أن يعينهم عمالا أو ممثلين له في مختلف الولايات والكور، لكنه بدل ذلك أعطاؤهم استقلالية في نواحي الدولة ومنحهم إقطاعات انفرد كل واحد منهم بناحيته، فكان هذا سببا حتميا في ضعف الدولة وهي لم يكتمل عرها بعد التي لم تصمد أمام التحديات الخارجية للدولة الخارجية المستقلة الناشئة التي تقوم على التوسع على حساب الدول الأخرى[99].

2- علاقاتها مع الدولة المجاورة:

اتسمت علاقة الأدارسة بالدول الأخرى بالعداوة والصراعات، فهي لم تكن بمأمن من الدولة العباسية ذات الأطراف المترامية، ويرجع ذلك إلى رغبة البيت العباسي إخضاع كافة أرجاء العالم الإسلامي وتحقيق وحدة دار الإسلام باعتبارهم الخلفاء الشرعيين، فبعد انفصال دولة الأدارسة عن العباسين أصبحوا يشكلون لها خطرا حقيقا، فبعد تحقيق استقلاليته ووحودتهم راودتهم فكرة الإنتقام لما حل بالعلويين من مجازر في المشرق على يد أبناء عمومتهم[100]، أما عن علاقتها بدولة الأغالبة (184-296هـ/800-909م) فلم تختلف عن سابقتها، فقد اتسمت بطابع العداء الذي ورثه الأغالبة عن بني العباس، إذ كان الأغالبة هم المنفذين للسياسة العباسية في المغرب الإسلامي، يضاف إلى ذلك أن ظروف تأسيس دولة الأغالبة جعلت سياستها الخارجية تتوافق مع السياسة العباسية.

3- مذهب الدولة الإدريسية:

98 المرجع نفسه، ص105.

99 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص59.

100 محمود إسماعيل، المرجع السابق، صص 103-104.

دخل الإسلام إلى المغرب في القرن الأول مبنيا على تعاليم الكتاب والسنة، حتى إذا كان مطلع القرن الثاني وبدأ الخوارج يتسربون إلى المغرب في صفوف الجيش الإسلامي، وجدوا المغرب ميدانا خصبا لنشر مذاهبهم، خاصة والولاة الأمويون لم يعدوا يطبقون تعاليم الكتاب والسنة تطبيقا حقيقيا، ولما جاء الأدارسة، وجدوا الخوارج في سجلماسة وغيرها، كما وجدوا البرغواطيين في تامسنا، وقد دخل المذهب الحنفي إلى المغرب عندما جاءت جيوش العباسين إلى شمالي إفريقية، ولكن هذا المذهب لم يكتب له الانتشار، لأن الدولة لم تتبنه.

والظاهر أن مؤسسي الدولة الإدريسية لم يأخذوا بمذهب مالك، خاصة وأن المذهب المالكي لم يصبح مذهبا حقيقيا إلا بعد أن انتشر تلاميذه في بقاع البلاد الإسلامية، وصاروا يبسطون في كتاباته وأقواله بالشرح والتدقيق، ولا يمكن أن نقول على أي حال بأن مذهب مالك انتشر في المغرب بفضل الأدارسة، فأصحاب الفضل بحق، هم المرابطون الذين عملوا على إقرار المذهب في المغرب كله، ومهما يكن من شيء، فإن عهد الأدارسة قد عرف مذاهب متعددة: الخارجية، الشيعية، المالكية، حسب الظروف المكانية والزمانية التي اكتنفت حياة هذه الدولة.

وعلى كل حال؛ فإن الأدارسة كانوا أميل إلى المذهب الشيعي، حتى أنهم كانوا ينتهزون أول فرصة تسنح لهم ليلغوا الخطبة باسم الأمويين، ويقروها باسم العبيديين، ولا أظن أن هذا شيء يدعو إلى الاستغراب، فكل من الأدارسة والفاطميين يشتركون في شرف النسب؛ إذا سلمنا بأن الفاطميين من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن الفاطميين يقرون عصمة الإمام كشيء واجب، وهذا مما يفيد الأدارسة معنويا في أوساط البربر، ولو أنهم لم يتعصبوا للشيعة تعصب الفاطميين أنفسهم، هذا إلى جانب اعتبارات سياسية جعلت الأدارسة يميلون إليهم.

ومن المؤكد أن مذهب الإمام مالك قد دخل أيضا في عهد الأدارسة بفضل الأندلسيين والمغاربة، أما في الأندلس فقد أدخله زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون، ثم تلميذه يحيى بن يحيى الليثي الذي درس بدوره على يد مالك وهو بربري من طنجة، قوي نفوذه لدى بني أمية في الأندلس أواخر القرن الثاني، حيث أصبح تعيين القضاة بمشورته، ومع أن كتاب الموطأ قد روي بخمس عشرة رواية، فإنه لم يبق منها إلا رواية محمد بن الحسن الشيباني، ورواية يحيى الليثي وقد توفي سنة 234هـ/848م، وإذا كان الأمويون قد عملوا بفضل نفوذهم السياسي على إقرار مذهب مالك في الأندلس، فإن المغرب قد ساهم في إقرار هذا المذهب بمجهودات فردية، فقد قيل إن أول مغربي عمل على نشر مذهب مالك بالمغرب أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الجراوي في أوائل القرن الرابع، وينسب إليه

مسجد بفاس، وقد توفي سنة 357هـ، وعلى كل فإن فقهاء المغرب الأوليين درسوا إما مباشرة على يد الإمام مالك، أو تلقوا علمهم عن فقهاء الأندلس والقيروان.

خلاصة: في سنة 305هـ/917م عين عبيد الله المهدي الفاطمي مصالة بن حبوس الكتامي قائدا على أحد الجيوش وأرسله إلى المغرب الأقصى قصد إزالة حكم الأدارسة منها، ولما انتصر مصالة في حروبه ضدهم عين على المغرب الأقصى شيخا من شيوخ بربر مكناسة وهو موسى بن أبي العافية وجعله عاملا عليها، غير أن هذا الأخير خلف الأدارسة في حكم المغرب الأقصى سنة 313هـ/925م بعدما أن تم له القضاء عليهم ونفى بعضهم إلى قلعة حجر النسر[101].

101 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص61.

المحاضرة السابعة

دولة الأغالبة (184-296هـ/ 800-909م)

تمهيد: تُعدّ الدولة الأغلبية، أو دولة بني الأغلب (184-296هـ / 800-909م)، واحدة من أوائل الدويلات الإسلامية التي نشأت في بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي وانتهاء عهد الولاة. تعود أصولها إلى العرب المضريين التميين، وكانت إمارة استكفاء تمتع بدرجة من الاستقلال عن الخلافة العباسية في بغداد. امتدت أراضيها لتشمل المغرب الأدنى وأجزاء من شرق المغرب الأوسط).

ارتبط تأسيس إمارة الأغالبة في إفريقية ارتباطًا وثيقًا بحالة الفوضى والاضطرابات التي سادت المنطقة آنذاك، حيث تفاقمت الصراعات المذهبية، واندلعت ثورات بين الجند العرب والبربر. وعندما ورث العباسيون الخلافة بعد سقوط الأمويين، وجدوا أنفسهم يحكمون دولة مترامية الأطراف، مما صعّب عليهم فرض سيطرتهم الكاملة، خاصة بعد انتقال مركز الحكم من دمشق إلى بغداد، حيث تزايدت مسؤولياتهم في المشرق وأصبحت أولوياتهم متركزة على القضايا الآسيوية[102].

1- بداية تأسيس دولة الأغالبة: نتيجة للظروف السالفة الذكر، سمح العباسيون للأغالبة بتأسيس إمارتهم في المغرب الأدنى، شريطة بقائهم تحت مظلة الخلافة العباسية ورقابتها، فقد تم تأسيس الدولة الأغلبية عام 800م (184هـ) بعد أن منح الخليفة هارون الرشيد ولاية إفريقية إلى إبراهيم بن الأغلب، الذي تمكن من فرض سلطته على المنطقة بشكل مستقل نسبيًا مع البقاء تحت التبعية الاسمية للخلافة العباسية[103]، واستمرت إمارة بني الأغلب في الحكم لأكثر من قرن، حيث تعاقب عليها أحد عشر أميرًا، كان لكل واحد منهم أثر واضح في تاريخ المنطقة.

أولاً: فترة التأسيس من (184-222هـ/ 800-838م): تشتمل على إمارات إبراهيم بن الأغلب، وابنيه أبي العباس وزيادة الله.

---

102 سامية بوصيغه، حكام الإمارة الأغلبية وإنجازاتهم في إفريقية (184-296هـ/800-909م)، **مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية**، جامعة العربي التبسي تبسة (الجزائر)، م9، ع1، أفريل 2024، ص378.

103 محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي 184-296هـ/ 800-909م، تعريب: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1995، صص124-129.

ثانياً: عصر الازدهار والاستقرار النسبي من (226-288هـ / 840-902م): وتمتد من نهاية حكم زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بالأول من سنة 201هـ / 816م) إلى نهاية حكم أبي عبد الله محمد الثاني ثامن أمراء البيت الأغلبي، الملقب بأبي الغرانيق لولعه بصيدها، وذلك في سنة (261/ 875م)، وقد تضمنت هذه الفترة حكم عدد من أواسط أمراء البيت الأغلبي من حيث الملكات، ولكن الأمور كانت قد استقرت وهدأت أحوال إفريقية بصورة عامة، ويرجع السبب الأساس في ذلك إلى فتح صقلية؛ الذي فتح مجالاً واسعاً أمام الجند وزعمائهم للغزو والحصول على المغانم، تاركين أمراء بني الأغلب في سلام، ثم جاء حكم إبراهيم بن أحمد، معلناً بداية التدهور.

ثالثاً: ثم تلا ذلك فترة التدهور، وتستمر من (289-296هـ / 902-909م): لم تزد فترة الاستقرار الحقيقية التي يمكن أن تسمى فترة ازدهار للأسرة عن ثلاثين سنة على الأكثر، ولكن هذه الأسرة، على الرغم من قصر مدة الاستقرار في أيامها، فإنها تعتبر صاحبة الفضل في إرساء أسس إفريقية الإسلامية؛ الذي أوجزنا الحديث عن جهادها في سبيل الحفاظ على مذهب السنة والجماعة والبقاء في نطاق الأمة الإسلامية العامة، كان في حاجة إلى فترة استقرار طويلة بعض الشيء، كي تثبت القواعد الاجتماعية والحضارية التي تمكن من تكوينها والحفاظ عليها خلال اضطرابات عصر الولاة، وما وقع فيها من انقلابات وتغير الأحوال، وقد أتاح له بنو الأغلب فرصة هذا الاستقرار، وأقاموا في بلاده حكومة محلية ذات طابع إفريقي، ثم إن بني الأغلب كانت فيهم عروبة صادقة، واهتمام بشؤون العلم والحضارة والمنشآت، فكان العصر في جملته، رغم كثرة حروبه واضطراباته خيراً على إفريقية، وخطوة واسعة إلى الأمام في بقاء المغرب الإسلامي[104].

2- الحياة الاجتماعية والسياسية:

لقد امتازت الحياة الاجتماعية في دولة الأغالبة بتنوع كبير في تركيبتها الاجتماعية، وقد حدث بينهم تمازج وانصهار في ظل ذلك التعايش الاجتماعي التي شهدته الدولة ويمكننا أن نقدم أمثلة عن بعض فئات المجتمع:

1 - **البربر:** وهم سكان البلاد الأصليون ويقسمون إلى طائفتين: طائفة البربر الحضر المعروفين بالبرانس الذين يسكنون النواحي الخصبة والسفوح المزروعة ، وهؤلاء يعملون بالزراعة والصناعة، نتيجة لاتصالهم بحضارة القرطاجيين

104 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، صص69-70.

واللاتين والبحر المتوسط، وطائفة البربر البدو المعروفين بالبتر الذين يقيمون في الصحارى والواحات، وهؤلاء يعيشون على الرعي.

2- العنصر العربي: فقد دخل مع مطلع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ، فالعنصر العربي دخل بلاد المغرب في صورة جيوش فاتحة ، وقد استقر رجال هذه الجيوش في نواحي المغرب كله بعد إتمام الفتح، ولحقت بهم جماعات أخرى من الجند والمهاجرين العرب مع استمرار حركة الفتح .

وكانت نتيجة ذلك قيام مجتمعات عربية صغيرة معظمهم في المدن والمعسكرات ، ومن هذه المراكز بدأوا ينتشرون في نواحي البلاد ، ولحقت بهم جماعات من المهاجرين غير العسكريين أو غير الرسميين ، وهؤلاء جميعا تكون منهم ما يعرف بالعرب البلديين، أي عرب إفريقية الذين استقروا فيها واعتبروها وطناً لهم دون أن يتخلوا عن عروبتهم، فكانوا يتمسكون بأصولهم القبلية ويتحدون ضد الجند العربي الذي كانت ترسلهم الحكومة المركزية الإقرار الأمن في البلاد، وقد عرف هؤلاء الجند العربي بالشاميين لا لأنهم جميعاً من أهل الشام ، بل لأنهم كانوا يأتون من الشام وهي قاعدة الحكم في العصر الأموي.

3 - الروم: وهم البيزنطيون الذين وجدوا في البلاد إذاك وكانوا حكام البلاد ، ومع الفتح العربي اختفى معظمهم ولم يبق منهم إلا جماعات قليلة كانت تقيم على السواحل ومدنها وخاصة قرطاجة، وكذلك في بعض بلاد الجري ، وأغلبهم اعتنقوا الإسلام وذابوا في سكان البلاد إلا من هاجر منهم إلى صقلية وغيرها من بلاد الجنوب الأوروبي.

4- الأفارقة أو الأفارق: فهم أخلاط من الناس كانوا يسكنون النواحي الساحلية حيث يعملون بالزراعة والصناعة، وقد ذكر ابن عبد الحكم في تاريخه عنهم قوله: "وأقام الأفارق وكانوا خدماً للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم"[105].

واجه الأغالبة ثورات داخلية، خصوصًا من القبائل البربرية والفصائل المناوئة للحكم العباسي، فقد شهدت الدولة عدة ثورات من القبائل البربرية التي رفضت الهيمنة العربية، لكنهم استطاعوا قمع معظم هذه التمردات بالقوة العسكرية وبالسياسات الإدارية الذكية، كما لعبت فرقة الخوارج دورًا محوريًا في زعزعة الاستقرار عبر ثوراتهم المتكررة، وخاصة في المناطق الجبلية، إضافة إلى تلك التحديات التي واجهتها دولة الاغالبة فقد أثر الجند العرب الذين كانوا يشكلون

105 ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1988، صص21-23.

جزءًا رئيسيًا من الجيش الأغلبي بشكل مباشر في زعزعة الاستقرار السياسي، بحيث قاموا بعدة انتفاضات بسبب تأخر دفع الرواتب وسوء المعاملة[106].

خلاصة: شهدت دولة الأغالبة (184-296هـ / 800-909م) فترات من القوة والازدهار، لكنها تعرضت لاحقًا لعدة عوامل داخلية وخارجية أدت إلى سقوطها. ومن أهم الأسباب التي ساهمت في انهيار الدولة:

1/ ضعف الحكام وتدهور الإدارة: خلال العقود الأخيرة من حكم الأغالبة، أصبح الأمراء ضعفاء وغير قادرين على إدارة الدولة بكفاءة، حيث انشغل بعضهم باللهو والترف، مما أدى إلى تراجع هيبة السلطة المركزية. كما انتشر الفساد الإداري وسوء استخدام السلطة، مما زاد من حالة السخط بين العامة والعسكريين على حد سواء.

2/ تفشي الصراعات الداخلية: كان للصراعات داخل البيت الأغلبي أثر كبير في إضعاف الدولة، فقد نشبت خلافات بين الأمراء على الحكم، مما أدى إلى انقسامات خطيرة داخل الأسرة الحاكمة. كما أدى تعيين بعض الحكام غير الأكفاء إلى تفاقم الوضع السياسي، وأضعف ولاء الجيش للدولة.

3/ تزايد نفوذ القبائل والعناصر العسكرية: اعتمد الأغالبة في حكمهم على جيش من المرتزقة، وخاصة الأتراك، والذين ازدادت قوتهم وأصبحوا عاملاً مؤثرًا في تعيين الحكام أو عزلهم. هذا النفوذ العسكري المتزايد أدى إلى حالة من عدم الاستقرار، حيث كانت الجيوش كثيرًا ما تتدخل في السياسة[107].

4/ تدهور الاقتصاد وانتشار المجاعات: عانت الدولة الأغلبيّة من أزمات اقتصادية متكررة، حيث انخفضت الإيرادات بسبب تراجع التجارة وزيادة الإنفاق العسكري. كما أثرت المجاعات والأوبئة على السكان، مما زاد من الاستياء الشعبي تجاه الحكومة.

5/ التهديدات الخارجية وظهور الدولة الفاطمية: مع ضعف الأغالبة، بدأت الدعوة الفاطمية بقيادة الداعية الشيعي أبو عبد الله الشيعي تكتسب زخمًا كبيرًا، خاصة في أوساط القبائل البربرية مثل كتامة. استطاع الفاطميون استغلال الاستياء الشعبي ضد الأغالبة، ونجحوا في حشد التأييد لقضيتهم، مما مهد الطريق لسقوط الدولة الأغلبيّة.

---

106 محمد الطالبي، المرجع نفسه، صص188-195.

107 محمود إسماعيل، الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط3، 2000، صص187-190.

6/ سقوط القيروان واستيلاء الفاطميين على الحكم: في عام 296هـ / 909م، تمكن أبو عبد الله الشيعي من هزيمة آخر حكام الأغالبة، زيادة الله الثالث، الذي فرّ إلى المشرق بعد أن فقد السيطرة على الدولة، دخل الفاطميون القيروان وأعلنوا قيام دولتهم، منهين بذلك حكم الأغالبة في إفريقية[108].

108 عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق: أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990.صص254-259.

المجلس العلمي

المحاضرة الثامنة

الدولة الفاطمية (296-362/909-973)

تمهيد: كانت اليمن قاعدة للدعوة الشيعة الإسماعيلية وذلك لبعدها عن مركز الخلافة العباسية باعتبارها تتوفر على شروط الأمان لبدأ الدعوة وحشد الأتباع فقد تسلم القيادة في اليمن رجل يدعى (إبن حوشب) الذي استطاع أن يستقطب بعض الفرس المعادين للمسلمين، ورأى في أرض المغرب خصبة لزرع البذور الشيعية، فأرسل من اليمن رجلين هما (أبو سفيان والحلواني) إلى طرابلس وتونس لنشر المذهب الشيعي، واستطاعوا أن يتوغلوا بأفكارهم في المناطق التي كانت تسكنها القبائل البرنسية المسماة بـ (كتامة) التي كانت تستوطن المناطق الجبلية الوعرة المتاخمة لبلاد الدولة العباسية من ناحية الغرب (غرب نهر الشلف)، وكانت هذه القبيلة من بين أكثر القبائل التي كانت تتطلع إلى إقامة دولة مستقلة في المغرب شأن دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، والأغالبة في المغرب الأدنى[109].

1- إختيار أبو عبد الله الشيعي(288-297هـ/901-910م):

وقع إختيار إبن حوشب على أبي عبد الله الشيعي من أهل صنعاء لما لمسه فيه من صفات قيادية بارزة وعلم وذكاء ومقدرة في التعامل مع الناس، ويعتبر هو المؤسس الفعلي لدولة العبيديين الإسماعيلية في المغرب، فأرسله إبن حوشب بعد موت الحلواني وأبي سفيان وقال له:" إن أرض كتامة في بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لك غيرها فبادر فإنها موطأة ممهدة لك"، وما بين 288هـ و 289هـ اتجه هذا الرجل إلى الحجاز في موسم الحج أين تعرف على قبائل كتامة وتقرب منهم، وبعد انتهاء موسم الحج توجه معهم إلى بلاد المغرب، غير أنه في حقيقة الأمر كان يعرف تمام المعرفة أن محطته الثانية ستكون في (إيكجان) وهي بلدة في جبل وعر تسكنها (سكتاتة) وهي بطن من بطون كتامة.

لقد نهج أبو عبد الله الشيعي نهج المعلم الصالح، فسلك سلك العفاف والطهر والديانة وأخذ في تعليم الناس وتثقيفهم ونشر أفكار المذهب الشيعي، وبسبب الظلم الذي عرف عن الأغالبة أصبح يهاجمهم ويفضح ممارساتهم، وتذكير الكتامين بأنهم من العلويين وفضلهم وأحقيتهم في الحكم، وبعد كسب تأييد أنصاره حزم أبو عبد الله الشيعي

---

109 علي محمد الصلابي، الصراع بين أهل السنة والرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، (د-ت)، ص41.

أمره وانتقل إلى قاعدة وسط جبال الأوراس إلى منطقة تسمى (تازروت) حيث عمل على فرض جباية قليلة هي أشبه بالتبرع للحركة، وجعل صرف هذا المال بأيدي شيوخ من كتامة فلا يصرف إلا بإذنهم، وانتهز الحالة السياسية المتأزمة التي كانت تمر بها الدولة الأغلبية حيث استطاع بمن معه الإستيلاء على أهم النقاط الحربية في جبال الأوراس إلى غاية سنة 296هـ/909م حيث استولى على القيروان وطرد زيادة الله االثالث[110].

كان الوقت قد حان في نظر أبي عبد الله الشيعي للجهر بدعوته، حيث أعلن أن الإمام الحقيقي للمسلمين هو عبيد الله المهدي وأنه قريبا سوف يصل إلى بلاد المغرب ويظهر العدل والمساواة، وبهذا انضم إليه بعض قواد الدولة الأغلبية، وكون بذلك جيشا يدافع به عن المذهب الشيعي والدولة الجديدة، كما حاول نشر مذهبه عن طريق الدعاية والمناظرة لإقناع علماء السنة والجماعة، وبعد أن أقاموا عليه الحجة اضطر إلى استعمال القوة لقمع علماء السنة، فمارس عليهم أصناف التعذيب والضرب بالسياط وقطع الألسن وضرب الرؤوس وغيرها.

بعد النجاح الباهر الذي حققه أبو عبد الله الشيعي في دعوته، أرسل إلى "عبيد الله المهدي" الذي كان مقيما في (سلمية) للقدوم إلى بلاد المغرب الإسلامي، فلما وصل إلى مصر أدرك بأنه متابع من قبل عيون العباسيين، وبمساعدة والي مصر استطاع عبيد الله المهدي الخروج من الفسطاط متجها إلى طرابلس متنكرا في زي التجار، وخوفا من بطش حكام الأغالبة قرر تغيير وجهته إلى سجلماسة مستعينا بالأموال التي أعطاها له عامل مصر[111]. ظل عبيد الله في بداية الأمر طليقا في سجلماسة بسبب إغداقه الأموال على واليها اليسع بن مدرار من جهة، وكونه كان خارجيا صفريا من جهة أخرى، لكن بعض إنتصار عبد الله الشيعي على الأغالبة سنة 296هـ/909م خشي صاحب سجلماسة وقام بسجن عبيد الله المهدي وأتباعه، ولما علم عبد الله الشيعي بذلك سار بقوة كبيرة إلى سجلماسة لإطلاق صراح عبيد الله المهدي[112].

2- خلافة عبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م):

110محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د- ت)، ص24.

111 علي حسن الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، 1972، صص53-54/ أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، بيروت- القاهرة، ط1، 1992، ص48/ محمد جمال الدين سرور، المرجع نفسه، صص25-26.

112 يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 2010، صص96-98/ محمد جمال الدين سرور، المرجع نفسه، صص25-26.

بعد تخليص عبيد الله المهدي من سجن سجلماسة تمت مبايعته، وسلم إليه الأمر من قبل عبد الله الشيعي وسار بين يديه يحترمه، وفي طريق العودة بالجيش إلى تاهرت أزال إمامة الرستميين سنة 297هـ/ 910م، وجعل المغرب الأوسط إلى غاية تلمسان جزء من الدولة الفاطمية، ولما وصل إلى القيروان بويع بيعة عامة، وبذلك انتهت ولاية عبد الله الشيعي التي دامة عشرة سنوات (288-389هـ/901-999م)، لكن سرعان ما تغيرت أحوال الكتاميين تجاه عبيد الله المهدي بعد أن تبدلت سيرته واستولى على الأموال التي جمعوها في إيكجان، ويتصرف في الأموال كما يشاء، فشكك الكتاميون في أصالته ومستوى تفكيره، وما يجعلهم ينقلبون عليه حقا هو إقدام عبيد الله المهدي على قتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه العباس كونهما كان ذا وزن في المجتمع الكتامي بعدما أفصحا عن تذمرهما كذلك من سياسة عبيد الله المهدي.

أحس عبيد الله المهدي أن إفريقة ضاقت به ذرعا ولم تعد له قاعدة شعبية فيها، ولذلك كان عليه التوجه إلى تأسيس مدينة وعاصمة خاصة به، فقد تطلع إلى الاستعانة بغيرهم لتشييد قلعة يعتصم فيها هو وأسرته وجنده وحشمه وأمواله، فعمل على بناء المهدية سنة 305هـ/917م التي ما زالت آثارها باقية إلى اليوم، وهي عبارة عن حصن منيع يقوم على رأس بارز في الساحل الشرقي لتونس، ولا يوصل إليه من البر إلا عن طريق مدخل ضيق، وهو محاط بسور عال مستدير الزوايا، وبين السور والبحر قطعة من الأرض أقيمت فيها دار صناعة السفن ومخازت البحرية، كما جعل عبيد الله المهدي العمال والسوقة يعيشون خارج البلد في موضع يسمى (زويلة)، فلا يكونون في البلد إلا نهارا فإذا هبط الليل رجعوا إلى مدينتهم[113].

لقد عمل عبيد الله المهدي على توسيع سلطانه مستعينا بزعماء قبائل أخرى، فقد أغرى مصالة بن حبوس زعيم قبائل صنهاجة في المغرب الأوسط بالمال، وبعثه في جيش كبير غازيا المغرب الأوسط والأقصى، فعمل على ضم قبائل زناتة وبني خزر المغراويين في المغرب الأوسط، ودخل المغرب الأقصى التي كانت تحت حمك الأدارسة، فولى عليها رجلا من أقاربه يسمى (موسى بن أبي العافية) الذي أذن للأدارسة بالبقاء في فاس تحت الطاعة الفاطمية[114].

3- غزو مصر والإنتقال إليها:

---

113 يوسف علي بدوي، المرجع نفسه، ص99-100.

114 إبن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، صص212-213.

أدرك عبيد الله المهدي أن مستقبل دولته لن يكون في بلاد المغرب الإسلامي، بحيث أنه لم يكسب أنصارا له كأبي عبد الله الشيعي، ولذلك توجه بنظره إلى مصر وقرر الإستيلاء عليها، فعث حملة بقيادة ابنه القائم، الذي استولى على الإسكندرية وخرب بعض نواحيها، غير أنها لم تعد بنتيجة ولم تتحقق رغبة عبيد الله المهدي، وبعد وفاة القائم وتولية ابنه المنصور أبو طاهر(334-341هـ/946-953م) انفجرت في عهده ثورة (أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفريني) المعروفة في كتب التاريخ بـ (ثورة صاحب الحمار) الذي ناصره الخوارج الصفرية من بربر إفريقية الناقمين على حكم الدولة الفاطمية، وقبائل زناتة التي كانت تخشى على سلطانها من المد والتوسع الفاطمي، غير أن ثورته لم تدم طويلا إذ سرعان ما أرسل المنصور (بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي) لمواجهته ولقي مصرعه بعد ذلك سنة 336هـ/948م وأركبوه دابة وطافوا بجثته[115].

يجمع المؤرخون على أن المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ/953-975م) كان أقدر الخلفاء الفاطميين وأبعدهم نظرا، فقد رأى أنه لن يستطيع الإستمرار في المغرب، لانه آل بلكين بن زيري الصنهاجيين كانوا أصحاب القوة والنفوذ فيها، كما أن القبائل التي استوطنت بلاد المغرب فقدت ثقتها في الدعوة الفاطمية الشيعية، ولهذا توجهت أنظاره نحو مصر لتجسيد ما عجز عنه الحكام السابقين، وقد ظهر على مسرح الأحداث التاريخية شخص مهم هو (جوهر الصقلي) الذي لعب دوار حاسما في استغلال ضعف الدولة الإخشيدية ووفاة حاكمها المحنك (كافور الإخشيدي)، وبعد مصالحة قبائل كتامة ودخول زعيمهم (جعفر بن فلاح) الذي أصبح أحد قواده، فقد مكن جوهر الفاطميين من الدخول إلى الإسكندية سنة 362هـ/973م، وبهذا نجد أن المعز لدين الله الفاطمي أعلن في بيان رسمي تخليه عن فرض المذهب الشيعي على أهل مصر وأحسن معاملتهم، فقد دخلت مصر بذلك عهدا جديدا بحيث تخلوا عن المذهبية كأساس لتكوين دولتهم، وأصبح إختيار المذاهب أمرا مقبولا ومتعاملا به، وفي نفس الوقت نرى بأن جوهر الصقلي وضع أساس مدينة القاهرة، لتكون مدينة ملوكية وحصنا للفاطميين، لكي ينتقلوا من قلعة المهدية إلى قلعة القاهرة[116].

---

115 ابن عذاري المراكشي، المصدر نفسه، ص220/ إدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لينان، ط1، 1985، ص،ص 438، 445، 469-470.

116 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص104.

خلاصة: لقد دامت خلافة الفاطميين في المغرب قرابة ستين سنة من (297-362هـ/909-973م)، بحيث دانت لهم بلاد شاسعة امتدت من طرابلس إلى منتصف المغرب الأوسط، فلم يخرج عنه سلطانهم إلى منطقة تلمسان، ودخلت في خدمتهم قبائل مغربية غفيرة، بالإضافة إلى أن ملكهم شمل أيضا إفريقية ومصر فيما بعد، وإذا أصفنا إلى هذه الأقاليم صقلية، تبين لنا أن الفاطميين بسطوا سلطانهم وملكهم على إطار جغرافي شاسع جدا.

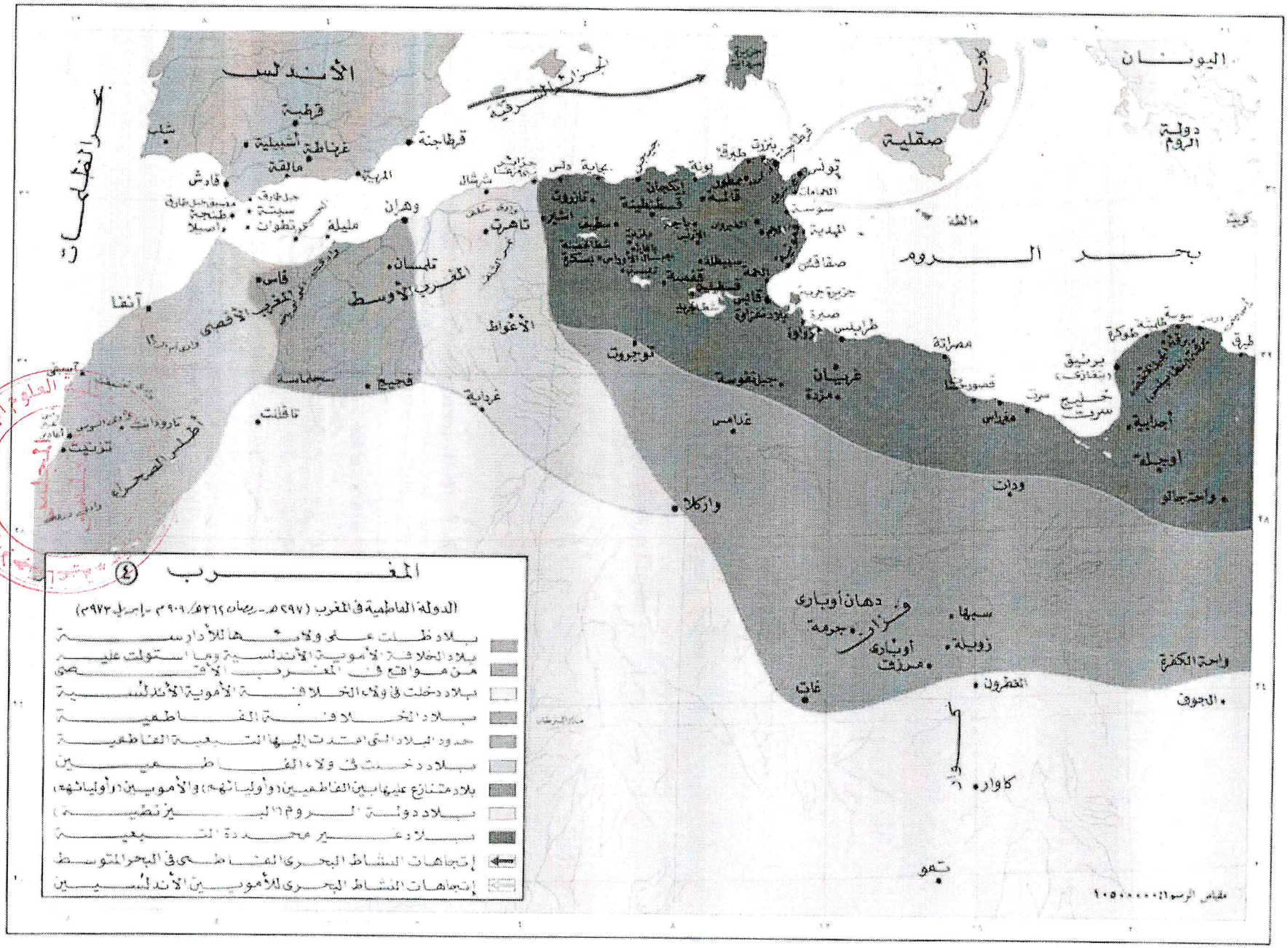

المغرب ④

الدولة الفاطمية في المغرب (٢٩٧هـ - ٣٦٥هـ / ٩٠٩م - ٩٧٣م)

- بلاد ظلت على ولائها للأدارسة
- بلاد الخلافة الأموية الأندلسية وما استولت عليه من مواقع في المغرب الأقصى
- بلاد دخلت في ولاء الخلافة الأموية الأندلسية
- بلاد الخلافة الفاطمية
- حدود البلاد التي امتدت إليها التبعية الفاطمية
- بلاد دخلت في ولاء الفاطميين
- بلاد متنازع عليها بين الفاطميين (وأوليائهم) والأمويين (وأوليائهم)
- بلاد دولة الروم البيزنطية
- بلاد غير محددة التبعية
- إتجاهات النشاط البحري الفاطمي في البحر المتوسط
- إتجاهات النشاط البحري للأمويين الأندلسيين

المعهد العالي للعلوم الإنسانية والاجتماعية بالمحمدية

المحاضرة التاسعة

الدولة الزيرية (362_543هـ/972_1148م)

تمهيد: يرجع نسب بني زيري إلى قبيلة صنهاجة البربرية؛ التي تنتمي إلى فرع من البرانس، ولم تكن صنهاجة مجرد قبيلة؛ بل كانت شعبًا عظيمًا، لا يكاد يخلو قطر من أقطار المغرب من بطونه وأفراده، مما دفع ابن خلدون إلى القول بأنهم يمثلون ثلث البربر[1]، وقد سكنت صنهاجة في مساحات شاسعة؛ امتدت من جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان بإفريقية، وهي منطقة صحراوية، آثروا السكنة فيها على غيرها من المدن الآهلة، وظهرت أسرة بني زيري - في أول أمرها- في طاعة الفاطميين، وتعاونت معهم في صد الأخطار التي تعرضت لها دولتهم ببلاد المغرب، وكان أول اتصال بينهما في عهد المنصور الفاطمي، حين قدم زيري بن مناد وأهل بيته وقبيلته لمحاربة أبي يزيد الخارجي في سنة (335هـ / 946م)، فخلع عليه المنصور، ووصله، وعقد له على أهل بيته وأتباعه وقبيلته، فعظم شأنه، وصار بنو زيري أعوانًا وأتباعًا للفاطميين، ومن ثَم نشب الصراع بين الصنهاجيين، وقبائل زناتة، لأن زناتة كانت دائمة الإغارة على ممتلكات الدولة الفاطمية.

1- نظرة عامة حول تأسيس دولة بني زيري في إفريقية:

بعد إنتقال المعز لدين الله الفاطمي إلة مصر سنة 362هـ/972م بأهل بيته وكبار قواده وجنوده، لم يعد إهتمامه بإفريقية على ما كان عليه سابقا، غير أنه أراد أن تكون تابعة له عن طريق تقديم الولاء التام للخلافة الفاطمية[2] وتقول وتقول الروايات التي بين أيدينا أن المعز قبل رحيله إلى مصر عرض على بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وكان من أكابر رجال صنهاجة أن يتولى أمر إفريقية ويكون تابعا للفاطمين في مصر، فقبل هذا الأخير بشروط المعز والحكم باسمهم والمحافظة على المذهب الشيعي، وعلى هذا أصدر المعز له عهدا بولاية إفريقية وسماه يوسف، ولقبه أبو الفتوح ويقول إبن عذاري وابن خلدون وابن الخطيب أنه أوصاه وصية قال له فيها:"إذا نسيت شيئا مما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء: لا ترفع الجباية على أهل البادية، ولا ترفع السيف على البربر، ولا تول أحدا من إخوتك وبني عمك،

---

1 إبن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، نشر خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص201.

2 يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأ صالة، الجزائر، ط1، 2010، ص110.

فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، واستوص بالحضر خيرا[1]"، غير أن بعض المؤرخين يرون أن هذه القصة غير حقيقة بحكم أن أمير أو والي بني زيري هو نفسه بربري لا يمكن أن يوصيه وصية تسيئ إلى البربر.

2- توسع دولة بني زيري وأهم حكامها:

لأول مرة في التاريخ أصبح رجل من أهل المغرب رئيس دولة إسلامية مستقلة في المغرب الإسلامي، وأصبحت هناك أسرة بربرية مستعربة تتولى شؤون إفريقية وتتطلع إلى سيادة المغرب الأوسط، وخلال ما يناهز نصف القرن ما بين سنة 361_406هـ/972_1016م تولى الحكم ملوك بني زيري الثلاثة الأوائل: بلكين بن زيري بم مناد (361_373هـ/972_984م)، والمنصور بن يوسف بن زيري (373_386هـ/984_996م)، ونصير الدولة باديس بن أبي الفتوح المنصور (386_406هـ/996_1015م)، وقد حكم الأول والثاني حوالي عشر سنوات وحكم الثالث حوالي عشرين سنة، واجتهدوا في مواصلة تثبيت دعائم الدولة الفتية على نحو لافت للنظر، محاولين إيجاد الحلول الملائمة للمشاكل الجوهرية التي تعترض سبيلهم.

وقد حرص بلكين رئيس صنهاجة وملك أشير على وجه الخصوص، باعتباره الخادم الأمين للخليفة الفاطمي على نصرة القضية الفاطمية ضد الزناتيين الموالين للأمويين في المغرب الأقصى، حيث قام بعمليات حرب متتالية، فقد اندفع بلكين نحو المغرب الأوسط الذي هجره الكتاميون محاولا تحقيق التوسع الذي كان يحلم به أسياده في السابق وإشفاء غليل حقد قديم مرتكز على النزاع القائم بين البدو الرحل والحضر[2]، وكان أول مظاهر هذا الصراع هو انتفاضة الزناتيين في تاهرت بعدما وجدوا الدعم الأموي من الأندلس، فسار إليهم بلكين وأخضعهم دون أن يتوغل في المغرب الأقصى، ففي سنة 367هـ/978 أضاف المعز إلى ولاية بلكين طرابلس، وسرت، وأجدابية حتى أصبحت مملكته تتسع إلى حدود برقة.

3- إنفصال دولة بني زيري عن الدولة الفاطمية:

تولى المعز بن باديس الزيري بعد وفاة أبيه سنة 406هـ/1115م وهو في سن الثامنة من عمره، وقد سير الدولة آنذاك أعمامه ورجال دولته حتى بلغ سن الرشد ولقد واجهت الحاكم الجديد بعض العراقيل والمشاكل الداخلية

---

1 إبن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، نشر خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص206.

2 حمادي الساحلي، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص73.

ومنها رغبته في القضاء على نزعة الإنفصال عند بني حماد، وخاض معهم حروبا طويلة انتصر فيها رجال المعز، وعندما تأكد لبني حماد أنهم لا يستطيعون الوقوف طويلا أمام قوة الدولة الزيرية، تقدم حماد بطلب الصلح على أساس أن يكون تابعا للقيروان وأن يتمتع باستقلال محلي في المغرب الأوسط، وتم الصلح في صفر 408هـ/1017م.

لقد شهدت الدولة الفاطمية بعد انتقالهم إلى مصر ظروفا صعبة، حالت بينهم وبين إحكام قبضتهم على إفريقية، وأصبحت تبعية الدولة الزيرية لهم مسألة خارجة عن نطاقهم، فقد غرقوا في شؤون مصر ومشاكلها، حيث وجدوا مصر بلدا شاسعا وأغنى بكثير مما كانوا يتوقعون، فغالبية سكانها لم يكونوا نصارى مثلما كان الحال في عهد الدولة الطولونية، بل كانوا مسلمين مستعربين أو عرب وكانت لهم أدوار متزايدة في عالم الإسلام[1]، كما أن المجاعات الفظيعة والنزاعات الدامية بين المرتزقة الأتراك والمغاربة السود زادت الوضع تأزما وفتحت بابا آخر على الخلافة الفاطمية صده[2]، وعلى هذا الأساس كان على المعز وخلفائه أن يركزوا جل إهتمامهم على مصر، وفي نفس الفترة أخذ استقلال بني زيري في إفريقية والمغرب الأوسط يتحول إلى حقيقة تاريخية على الفاطميين استصاغتها فقط، ولم يعد من الممكن أن تعود الدولة الزيرية إلى التبعية للمشرق.

لقد تمكن المعز بن باديس سنة 440هـ/1048م من الإستقلال عن الدولة الفاطمية وإلغاء المذهب الشيعي من دولته، وأعلن في عاصمته لقيروان عودة المذهب السني المالكي، ورحب سكانها بذلك ترحيبا شديدا، حتى قامت فيها ثورة على لمن كان شيعيا، وعلى إثر ذلك بعث المعز إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلب منه عهدا بتوليته على إفريقية والمغرب، فأرسل إليه الخليفة رايات سودا وخلعا سودا وعهدا بالولاية، وهكذا انفصلت دولة بني زيري وبلاد إفريقية والمغرب عن مصر والمشرق[3].

4- دخول العرب الهلالية بلاد المغرب وسقوط الدولة الزيرية:

عرب بنو هلال وبنو سليم والأثبج الذين نتحدث عنهم يدخلون فيمن يسميهم إبن خلدون بعرب الجيل الرابع، أو العرب المستعجمة الذين فقدوا خُلق العرب الأول[4]، ولم يعد لهم من القوة أو القدرة وسلامة العنصر، وفقدوا

---

1 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص118.

2 حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص212.

3 ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، صص273-274.

4 إبن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، نشر خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، صص3-4.

فصاحة العرب وسلامة اللغة، وكانت العرب الهلالية قد اضمت إلى حركة القرامطة التي تصدى لها المعز لدين الله الفاطمي، وبعد تغلبه عليهم استقرت بنو هلال وبنو سليم في ريف مصر، غير أن أذاهم المستمر وهمجيتهم دفعت المستنصر الفاطمي إقطاعهم بلاد إفريقية والمغرب من أجل القضاء على الدولة الزيرية والمذهب السنين، فسار قسم منهم إلى برقة وخربوا مدنها وامتد تخريبهم إلى أجدابية وطرابلس وفزان، وقسم منهم ساروا إلى إفريقية كالجراد المنتشر لا يمرون على شيء إلا أتوا عليه[1]، ومع كل المحاولات التي قام بها المعز بن باديس لإنقاذ عاصمته ودولته من السقوط إلى أن همجية عرب بنو هلال كانت أقوى وأعنف، ما دفعه إلى الإنسحاب إلى المهدية التي بناها الفاطميون شمال سوسة، وبعد أن عثت العرب الهلالية الخراب في المدن السالفة الذكر توجهوا إلى المهدية وقبضوا على المعز وقضى سنواته الأخيرة في السجن إلى أن توفي سنة 454هـ/1036م[2].

خلاصة: لقد أثرت نزعة الإنفصال التي تزعمها بنو حماد بالمغرب الأوسط ضد بني زيري أبناء عمومتهم بإفريقية، وبعد أن تم الصلح بينهما سنة 408هـ/1017م على الإستقلال المحلي لدولة بني حماد بالمغرب الأوسط، أصبحت أشير العاصمة الفعلية لبني حماد ثم بجاية بعد ذلك، غير أنه قد إنفتح باب آخر على دولة بني زيري تمثل في الخطر النورماندي الصليبي، الذين استولوا على صقلية سنة 464هـ/1071م كبداية للتوسع في دولة بني زيري، وقد تمكنوا من إسقاط دولة بني زيري بعد إستيلائهم على المهدية سنة 452هـ/1148م.

1 إبن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، صص 18-22.

2 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، صص 121-126.

المحاضرة العاشرة

المجلس العلمي

الدولة الحمادية (408-547هـ/1018-1152م)

تمهيد: تُعد دولة بني حماد من أبرز الدول الإسلامية التي نشأت في المغرب الأوسط، وتحديدًا في الجزائر. تأسست على يد حماد بن بلكين الزيري، الذي أظهر براعة في القيادة والإدارة. في عام 398هـ/1007م، أنشأ مدينة القلعة واتخذها عاصمة له، معلنًا استقلاله عن الدولة الزيرية في 405هـ/1014م[1]، ومبايعًا الخلافة العباسية في بغداد.

شهدت الدولة الحمادية توسعًا جغرافيًا ملحوظًا، حيث امتدت حدودها لتشمل مناطق مثل: المسيلة، طبنة، بلاد الزاب، تيهرت، وبلزمة. في عهد الناصر بن علناس، نُقلت العاصمة إلى بجاية عام 460هـ/1068م[2]، والتي أصبحت مركزًا ثقافيًا وحضاريًا بارزًا. كما خضعت مدن مثل فاس، مليانة، قسنطينة، وتونس لسيطرة الحماديين خلال فترات مختلفة من حكمهم، انتهى حكم الدولة الحمادية في 547هـ/1152م، عندما سقطت على يد الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي[3].

1- التركيبة الاجتماعية للدولة الحمادية:

يمكن فهم التركيبة الاجتماعية للدولة الحمادية خلال عدة جوانب، منها الفئات السكانية والهجرات التي شهدتها الدولة، إضافة إلى التوزيع المهني والثقافي بين سكانها، فقد تألف المجتمع الحمادي من مجموعة من القبائل الأمازيغية، وعلى رأسها قبيلة صنهاجة التي كان ينتمي إليها الحكام الحماديون، كما كان هناك حضور قوي للعنصر العربي الوافد من شبه الجزيرة العربية، خاصة بعد دخول القبائل الهلالية في عهد الناصر بن علناس، إضافة إلى ذلك فقد شهد تركيبة المجتمع الحمادي دخول عدد كبير من العرب الذين هاجروا من القيروان بعد تخريبها من قبل الهلاليين سنة 449هـ/1057م، وكان بينهم العلماء، والتجار، وطلبة العلم، مما أثرى الحياة الثقافية والعلمية في الدولة.

وفي سياق متصل شهدت الدولة الحمادية موجات من الهجرة الأندلسية والصقلية، خاصة بعد سقوط المدن الأندلسية تحت حكم المرابطين، حيث استقبلت القلعة العديد من العلماء والفنانين والصناع الأندلسيين الذين ساهموا

---

1 إبن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق،، ج6، صص227-236.

2 رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، صص17-18.

3 المرجع نفسه، صص102-105.

في ازدهار الحضارة الحمادية، فقد شكلت هذه الهجرات رافدًا مهمًا في تطور الحياة الاقتصادية والثقافية، حيث جلب الأندلسيون خبراتهم في الزراعة، والصناعة، والتعليم.

كما أن الدولة الحمادية شهدت تركيبة اجتماعية مهنية أدت هي الأخرى أدوارها بشكل ملفت للانتباه، فظهرت طبقة الفلاحين الذين استفادوا من الأراضي الخصبة في سهول الحضنة وكانوا يستقرون في الأماكن والمجالات الجغرافية التي يمكنها أن تحتضن أنشطتهم، بالإضافة إلى فئة التجار الذين استفادوا من الموقع الجغرافي الاستراتيجي للدولة، والحرفيين الذين برعوا في الصناعات التقليدية مثل صناعة الفخار والخزف والمنسوجات[1].

2- الصراع المذهبي بين السنة والشيعة في الدولة الحمادية والدعوة للخلافة العباسية:

1.2 الصراع المذهبي بين السنة والشيعة:

عند تأسيس الدولة الحمادية، كانت منطقة المغرب الأوسط تحت النفوذ الفاطمي، وكان المذهب الإسماعيلي الشيعي هو السائد بفضل دعم قبيلة كتامة للفاطميين، ومع استقلال الدولة الحمادية عن الزيريين والفاطميين، قطع حماد بن بلكين الدعوة للفاطميين وأعلن تبنيه للمذهب السني[2]، مما أدى إلى توتر مع أنصار الفاطميين في المنطقة، كما كان هناك تواجد للمذهب الشيعي في بعض المناطق التي بقيت على ولائها للفاطميين، لكن مع مرور الزمن، تراجع نفوذهم مع تعزيز الحماديين للمذهب المالكي[3].

2.2 الدعوة للخلافة العباسية:

بعد إعلان استقلال الدولة الحمادية عام 405هـ/1014م، قام حماد بن بلكين بقطع الولاء للفاطميين وأعلن دعوته للخلافة العباسية في بغداد، مما جعله في صراع مع الدولة الزيرية التي كانت لا تزال موالية للفاطميين، وقد أدت هذه الخطوة إلى نزاعات بين الحماديين والزيريين، حيث حاول المعز بن باديس إعادة السيطرة على الدولة الحمادية لكنه

---

1 رشيد بورويبة، المرجع السابق، صص 166-202.

2 عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1991، صص255-257.

3 كريمة شقلاقة، نصيرة شيهب، الدولة الحمادية (408-547هـ/1115-1156م) من خلال كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مذكر ماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون -تيارت-، الجزائر، 2020-2021، صص58-62.

لم ينجح، دعمت هذه السياسة استقرار الحكم الحمادي، وأصبحت القلعة مركزًا للدراسات الفقهية السنية، خصوصًا في المذهب المالكي الذي كان الأكثر انتشارًا في البلاد.

المجلس العلمي

3- الحياة العلمية:

اهتم الحماديون بالعلم والعلماء، فظهر بالجزائر الحمادية العلماء كأبي بكر بن الحسين الميورقي وأبي القاسم البسكري وأبي محمد الأشيري، ومن الشعراء كابن رشيق وابن حمديس وعبد الحق البجائي، والأطباء كابن علي بن الطبيب وابن أبي المليح، وعُرِفَ عن بجاية أنها "عاصمة الرياضيات" وذلك بفضل احتضانها لمعهد سيدي التواتي الذي كان بمثابة جامعة ، ولم تُستثنَ الإناث من فرصة الدراسة فيه، ومنه أخذ الأوروبيون الأرقام العربية والجبر والمقابلة وهندسة الإغريقي إقليدس. ، وكان لعلوم الشريعة المنزلة الأولى ثم تليها علوم العربية، وكانت اللغة العربية هي اللسان الرسمي للدولة ثم جاء العرب الهلاليون فقاموا بتعريب بلاد المغرب. وكانت المساجد والمعاهد العلمية حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية، وكان المذهب السني المالكي هو المذهب الرسمي للدولة الحمادية، وأصبحت بجاية مركزا حضاريا يأوي إليه الكثير من علماء المشرق أو المغرب، ومنم ابن حمديس الصقلي من الأدباء[1]، وأبي الفضل بن النحوي التوزري، حتى أن أهل بيزا الإيطالية نزلوا إلى بجاية وتعلموا منهم صنع الشمع، ولا يزال مسمى الشمع عندهم بوجي (Bougie) وهو اسم الإفرنجي لمدينة بجاية[2].

خلاصة: شهدت دولة بني حماد تدهورا سياسي وإداريا في آخر مراحلها، ويمكن تلخيص أسباب انهيار الدولة الحمادية في عدة نقاط رئيسة، أول هذه الأسباب يتمثل في ضعف الحكم المركزي وتفشي الفساد داخل أجهزة الدولة أدى إلى فقدان السيطرة على المناطق التابعة لها، كما أنها شهدت صراعات داخلية كثرة مع أبناء عمومتهم الزيريين والمرابطين، أما على الصعيد الخارجي فقد بدأ الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي حملاتهم التوسعية في منتصف القرن السادس الهجري، حيث تمكنوا من القضاء على الدولة المرابطية، ثم توجهوا نحو الدولة الحمادية، بحيث استولوا على

---

1 محمد بن عميرة، القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى، **حولية المؤرخ**، اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع1، 2002، ص 110/ أحمد سعودي، الحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد، **مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين (الجزائر)، م5، ع2، 2021، صص141-146.

2 إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع19، أفريل 1974، ص346.

عدة مناطق، وكان سقوط بجاية عام 547هـ/1152م بمثابة النهاية الرسمية لحكم بني حماد،1 فقد واجه يحيى بن العزيز آخر حكام الدولة الحمادية صعوبات كبيرة في التصدي للموحدين بسبب ضعف الدولة نتيجة الصراعات الداخلية والانقسامات القبلية، وبعد اشتداد الضغط عليه، اضطر إلى الاستسلام للموحدين، مما أدى إلى انهيار الدولة الحمادية بالكامل.

1 عبد الحليم عويس، المرجع السابق، صص198-202.

المحاضرة الحادية عشر

الدولة المرابطية (430-541هـ/1038-1156م)

تمهيد: ينتسب الملثمون الذين عرفوا فيما بعد بالمرابطين إلى قبيلة لمتونة إحدى بطون صنهاجة أعظم قبائل البربر؛ التي تضم عددا كبيرا من القبائل أشهرها (مسوفة، مسراتة، مداسة، جدالة، لمطة، غيرهاه)، وكانت لمتونة تتولى رئاسة هذه القبائل، ثم آلت الرئاسة إلى قبيلة جدالة في عهد الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي تولى زعامة صنهاجة، ولا شك أن هذا الزعيم لاحظ أن الدويلات المستقلة في بلاد المغرب الإسلامي تأسست على أيدي زعماء دينيين وروحيين، مثل أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي تزعم القبائل النفوسية الإباضية وشكل النواة الأولى للدولة الرستمية الإباضية، وأبي عبيد الله الشيعي الذي تزعم قبيلة كتامة وأسس الدولة الفاطمية، وإدريس الأكبر الذي تزعم قبيلة أوربة وأسس الدولة الإدريسية وغيرها...[1].

1- بداية الدعوة المرابطية:

في سنة 427هـ/1035م خرج يحيى بن إبراهيم إلى الحج وفي طريق عودته نزل بمدينة القيروان باعتبارها حاضرة علمية، والتقى أبي عمران الفاسي شيخ المذهب المذهب المالكي واستمع لدروسه ومحضراته، وبالنظر إلى الحياة القاسية التي كانت تعيشها القبائل الصنهاجية في موطنه، ارتأى هذا الأخير اصطحابه معه إلى بلاد المغرب قصد تعليم مجتمعه القبلي وجمع كلمتهم كمحاولة لبداية تأسيس دولة جديدة، غير أن الشيخ تعذر عن تحقيق رغبته وكتب إلى أحد طلبته في سجلماسة عاصمة بني مدرار يسمى (وكاك بن زولو اللمطي)، وكان وكاك فقيها ذا مكانة وجاه، فندب هو الآخر تلميذا له للقيام بتلك المهمة يسمى (عبد الله بن ياسين الجزولي).

2- عبد الله بن ياسين الزعيم الروحي لدولة المرابطين:

نهض عبد الله بن ياسين لأداء مهمته وتوجه إلى قبائل جدالة، فقد كشف لنا التاريخ عن شخصية متحمسة واسعة المطامع، واستطاع بسبب معرفته للهجات البربرية وطبيعة شخصيته الإجتماعية إجتذاب الطلبة إليه من كل فج[2]

---

1 يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 2010، صص137-139/ حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في العهد المرابطي، دار المعرفية الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997، ص37.

2 حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د- ت)، ص119.

واستطاع كسب قلوب القبائل اللمتونية والجدالية الصنهاجية وغيرها، وبدأت شخصيته السياسية تظهر شيئا فشيئا، وازدادت رغبته في تأسيس دولة صنهاجية بعد ما عايش معاناة القبائل الصنهاجية التي كانت تعيش تحت حصار وتهديد قبيلة زناتة، وبعد أن تأكد عبد الله بن ياسين من أنه كون حوله جماعة من المخلصين وقويت عصبيته، خرج بهم إلى جزيرة في المحيط قرب مصب واد السنغال حسب ما يذكره أحد المصادر التارخية لكي يفرغوا لأمور العبادة والتحضير النفسي لبداية الجهاد وتأسيس الدولة، وهناك أنشأ رِبَاطاً[1] لم يلبث أن اتسع، وبعد أن رأى عبد الله بن ياسين أنه يملك عداد كبيرا من الأنصار خاطبهم وقال لهم: "اخرجوا فأنتم المرابطون"[2] وعلى هذا الأساس سموا بـ (المرابطين)[3].

هنا تظهر صورة عبد الله بن ياسين القائد العسكري الماهر، الذي يحسن قيادة الجيوش وترتيب المعارك، فكانت الخطوة الأولى أمامه القضاء على سلطان المغراويين والزناتيين؛ الذين كانوا يسيطرون على المغرب الأقصى، فعبر مع رجاله الصحراء متجها نحو الشمال واسترجع إقليم(تافيلالت)، واستخلص سجلماسة في حدود سنة 450هـ/1058م، ثم ارتد إلى الجنوب فعبر الصحراء وهاجم أهل السودان الغربي في حوض السنغال، فأخذت القبائل الصنهاجية المعروفة تتوسع شمالا وجنوبا وتؤسس لبداية دولة جديدة، غير أن هذا القائد لم يلبث أن قتل في إحدى المعارك سنة 451هـ/1059م، وبقي أبي بكر بن يحي بن إبراهم الجدالي لوحده يواجه تحديات إستكمال تأسيس الدولة المرابطية[4].

---

1 الرباط هو حصن حربي يقام في الثغور المواجهة للعدو لحماية حدود الدولة الإسلامية كما مكان مخصص للتعبد، وهناك إختلاف حول المكان الذي تم تأسس فيه؛ إبن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972، صص124-125/ الناصري أبو العباس بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تتحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ج2، ص7/ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص124.

2 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص140.

3 هناك رأي آخر يذكره ابن عذاري بأن تسمية المرابطين كانت نتيجة انتصار قبائل لمتونة وجدالة في إحدى معاركهم على قبائل لا تدين بدين الإسلام؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس،، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج4، ص12.

4 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، صص 140-142/ حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص44.

3- بداية تأسيس الدولة المرابطية وتوسعها:

بعد وفاة عبد الله بن ياسين كان سلطان أبي بكر بن يحي بن عمر وقبيلته لمتونة قد استقر وطاعت له القبائل الصنهاجية، وكان في تلك المرحلة في عز شبابه يستعين في مشروعه بأهل الثقة من أقربائه وخاصة عمه يوسف بن تاشفين، وفي سنة 461هـ/1069م عمل المرابطون على إنشاء قاعدة عسكرية وسياسية للحركة في سهل تانسيفت الفسيح الذي أصبح مركزا لهم، فأنشئ مقرهم الأول في قريتين تسمى كل منهما بـ (أغمات)[1]، فشرع أبي بكر في بناء قاعدته سنة 461هـ/1069م[2] وأطلق عليها إسم (مراكش) معناها بالبربرية (مركوش) ومعناها قصر الحجر لأن مباني المدينة أقيمت بالحجر، ما لبثت هذه المدينة أن نمت وازدهرت، وفي سنة 463هـ/1071م بلغه أن قبيلة جدالة وثبت بقبيلة لمتونة وأنزلت بها مذبحة، فقرر العودة إلى إلى منازل صنهاجة في الصحراء لإنجاد لمتونة، وخلف على مراكش وقبائلها بن عمه يوسف بن تاشفين بعد أن طلق زوجته زينب النفزاوية وأرها بالزواج معه وترك معه ثلث الجيش[3].

عمل يوسف بن تاشفين في مرحلة غياب إبن عمه على التوسع، فقد مد حدود دولته الناشئة من ساحل المحيط إلى شرق نهر ملوية، وزحف نحو المغرب وأخضع كلا من قبائل مغراوة وزاتة وبني يفرن، واستطاع بسط سلطانه في فترة وجيزة على المغرب الأوسط بحيث ضم تلمسان بلغ توسعه الجزائر التي كانت تعرف وقتئذ بـ (جزائر بين مزغنة) وبنى فيها مسجدا جامعا ما زال شاهدا على ذلك، وتذكر المصادر التاريخية أن عند عودته إلى أغمات سنة 454هـ/1062م تزوج بـ "زينب النفزاوية"، وفي تلك الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة الناشئة عاد أبو بكر بن يحي بعد أن قضى على الثورات والصراعات التي كانت تهدد كيانهم، غير أن يوسف بن تاشفين كان قد بلغ من القوة والعظمة ما يؤهله لأن يكون أميرا على دولة المرابطين، وفي نفس الوقت لا يمكنه أن يتمرد على إمامه وأميره الشرعي، وهنا يبرز دور زوجته زينب النفزاوية بنت إسحاق؛ التي أشارت عليه بأن يظهر له الغلضة في موقف قوة لا موقف

---

1 الأغمات هو اللفظ البربري الذي يطلق على القرية البدائية التي تتألف من سور من الطين والقصب وفروع الشجر، وتتخذها القبيلة التي تنشئها معتصما لنسائها وأطفالها وحتى مواشيها في أوقات الحرب والكوارث الطبيعية، وتسمى بالعربية بـ (المجمع)؛ يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص142.

2 إبن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، صص18- 19.

3 الناصري، المرجع السابق، صص19-20/ عصمت عبد اللطيف دندشن، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430.515هـ/1038.1021م مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص101.

ضعف من جهة، وأن يلاطفه بالهدايا والأموال والخلع والثياب من جهة أخرى[1]، وبعد لقاء يوسف بن تاشفين لإبن عمه عمر بن يحيى أظهر له مظاهر السلطة والقوة وسلم عليه وهو راكب على خيله ولم يترجل كعادته في موكب يحيط به حرسه الخاص وجيش جرار وراءه، وبعد هذه المشاهد التاريخية ارتأى يحيى بن عمر أن يوسف بن تاشفين يملك الكفاءة التي تؤهله لقيادة الدولة الناشئة، فجمع أشياخ المرابطين من لمتونة وأعيان الدولة والكتاب والشهود وأشهدهم على نفسه بالتنازل عن الإمارة لابن عمه يوسف بن تاشفين سنة 465هـ/1073م[2].

لقد كانت الأندلس فس تلك الفترة تعيش حالة من الإنقسام والإنشطار عرفت عند المؤرخين بـ(عصر ملوك الطوائف) التي امتدت من 422-487هـ/1031-1094م، فأصبحت غرناطة بيد بني زيري، وألمرية بيد بني صمادح، وإشبيلية بيد بني عباد، وطليطلة بيد بني ذي النون، فكانت النكسات بدأت تتوالى على هذه الدويلات الصغيرة، غير أن مأساة سقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس سنة 478هـ/1085م[3] بات يعتبر نذير شؤم للأندلسيين، بحيث أن زوال ملكهم أصبح وشيكا تحتاج إلى وقت لتحقق أسوأ مخاوفهم، فقد أعقب هذا الإضمحلال المتنامي الذي ما انفك يتعاظم إجتماع مشايخ قرطبة وزعمائها للتشاور وتقييم الأوضاع وتشخيص حالة الأندلس، فكان القرار الذي خرج به المؤتمرون هو الإستنجاد بالمرابطين تحت قيادة أميرهم يوسف بن تاشفين.

لقد عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس ثلاث مرات على التوالي، إذ أنه لم يكن ينوي التوسع في الأندلس في بداية الأمر، ورجوعه إلى المغرب في العبور الأول والثاني قد يبرر ذلك ويؤكد إعتقادنا، فبعد معركة الزلاقة التي خاضها ضد ألفونسو سنة 479هـ/1086م، تمكن يوسف بن تاشفين من منح حوالي 406 سنوات ميلادية418 سنة هجرية لاستمرار الحضارة الإسلامية في الأندلس، بيد أن ملوك الطوائف لم تكونوا مؤهلين على ما يبدو لتسيير دويلاتهم ولم تجتمع لهم كلمة، ما اضطر يوسف بن تاشفين إلى العبور النهائي سنة 482هـ/1089م، وقام بعزل أمراء ملوك الطوائف ماعدا أمير سرقسطة الذي دخل في طاعته، وعزل المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية وأخذه معه إلى المغرب.

---

1 سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1985، صص 42-43/ يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص144.

2 إبن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، صص23- 24/ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص223.

3 سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص60/ يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص150.

لقد فرضت الظروف الجديدة في الأندلس على المرابطين مسؤولية ثقيلة، فكان عليهم مواصلة الجهاد وحدهم، وإذا أخذنا بعين الإعتبار أن الأندلس كانت دار هجرة وأن المرابطين لم يجدوا العون لمهمة الجهاد، بات يسيرا علينا أن نستشعر ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وأصبح بمقدورنا أن نتنبأ بأن نجاحهم لبلوغ غايتهم قد يكون ضربا من الوهم، خصوصا إذا قلنا بأن قوة ناشئة أخرى أصبحت تتشكل في الأفق متمثلة في دعوة ابن تومرت لتأسيس دولة الموحدين.

خلاصة: ما يثير الدهشة والغرابة كلما تعمقنا في تأسيس الدويلات المستقلة، هو أن الدعاية الروحية والدينة كانت دائما تعد اللبنة الأولى لجمع الأنصار من مختلف القبائل البربية التي استوطنت المغرب الإسلامي، فقبيلة كومية البرنسية ليست أقل حظ من قبائل جدالة ولمتونة، فحتى هذه الأخيرة ارتأت لنفسها إمكانية لتأسيس دولة مستقلة يمكن من خلالها إثبات ذاتها وحضورها التاريخي، غير أن يوسف بن تاشفين كان أكثر ذكاء مما نتوقع، فقد اجتهد في تشويه سمعة المرابطين واتهامهم بالمروق عن الدين والنجسيم وغير ذلك، فكانت هذه وسيلته المكيافيلية لبلوغ غايته الأسمى وهي تأسيس دولة الموحدين.

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد
المجلس العلمي

المحاضرة الثانية عشر

الدولة الموحدية (541-668هـ/1156-1269م)

تمهيد: كان النجاح الذي لقيه المرابطون في إقامة دولتهم بفضل تفكير الفقيه عبد الله بن ياسين؛ محركا للمصامدة في أن يقيموا لأنفسهم دولة تضاهي دولتهم، خصوصا وأن قبائل مصمودة قد دخلت في طاعة وولاء زعيمهم الروحي (محمد بن تومرت) الذي ينتمي إلى قبيلة (هرغة) التي تستوطن ناحية جبال الأطلس العليا في سهل السوس بالمغرب الأقصى.

1- بداية الدعوة الموحدية: إن معلوماتنا حول شخصية محمد بن تومرت قليلة جدا غير أنه على ما يبدو ولد على وجه التقريب سنة 485هـ/1092م في بيت علم وجاه، ويذكره تلميذه أبو بكر الصنهاجي المعروف بـ (البيدق) على أنه رجل شريف حسني، وكان جده يلقب بـ (واجليد) وهي صيغة للفظ البربري (آجليد) ومعناه: الزعيم أو القائد، وقد تتلمذ في بلده ثم درس في مراكش وفي حوالي سنة 506هـ/1113م شرع في رحلته إلى المشرق فدرس في مصر ثم القيروان ثم عاد إلى المغرب.

بعد عودة محمد بن تومرت من المشرق بدأ بسياسة الأمر المعروف والنهي عن المنكر[1]، للظهور بمظهر المصلح الديني والقائد الروحي، ولما وصل إلى تلمسان إلتقىبعبد المؤمن بن علي من قبيلة (كومية) التي يعقد أنها قبيلة زناتية وعرض عليه مشروعه الإصلاحي، فأصبح أكبر تلامذته ورئيس جماعته، ومن تلمسان سار ركب الفقيه إلى وجدة ثم فاس، وبدأ يأمر تلاميذه بتحطيم من أدوات الموسيقى[2]، وقد رمى المرابطين بالتجسيم واتهمهم ببطلان دعوتهم والمروق في الدين وغير ذلك، غير أن هذه الإتهامات لم تكن سوى لتقزيم المرابطين في أعين البربر وكسب المؤيدين والأنصار.

2- تنظيمات ابن تومرت وتأسيس دار الهجرة:

بعد أن تأكد ابن تومرت من تكوين جماعة من الأتباع المخلصين، انتقل بهم إلى موضع في قلب جبال الأطلس يسمى (تينملل أو تينمال) وسط منازل قبيلة هرغة محاولا تقليد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد اتخذها دار هجرة له

---

1 محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1990، ص176.

2 أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيدق)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1971، صص 23-24.

وأخذ يرتب أنصاره إلى طبقات بحسب إخلاصهم وولائهم له كأنهم المهاجرون والأنصار، فسمى أصحابه (آيت عشرة)، والأنصار سماهم (آيت خمسين)، ثم (الطُلبة) بضم الطاء ويراد بهم الطلبة الذين يدرسون فقه ابن تومرت، ثم (المستدركين) وهؤلاء يعملون عيونا له ويوافونه بكل كبيرة وصغيرة، وما يمكن أن نقوله هو أن ابن تومرت ارتكب الكثير من الأخطاء لكي يصل إلى غاياته وأهدافه، فكان يزيف الأحاديث النبوية، وقام بالكثير من التصفيات الجسدية لمخالفيه[3].

3- خلافة عبد المؤمن بن علي:

بعد الغزوة التي قام بها ابن تومرت على الدولة المرابطية في عاصمتهم مراكش سنة 524هـ/1130[4]، توفي في معركة "البحيرة" في السنة نفسها، ومع كل ما قيل عن ابن تومرت غير أنه لم يوفق في إنشاء مذهب ديني أو سياسي واضح المعالم، لأن تفكيره الديني كان مشوشا ومتناقضا، فقد عاش متقشفا متقللا من الدنيا وأرهق نفسه ليورث ثمرة جهده لصاحبه عبد المؤمن بن علي بعد وفاته، الذي بايعه الموحدون، وبدأت معه حركة توسعات كبيرة في بلاد المغرب والأندلس وقد مرت بأربعة مراحل:

المرحلة الأولى(524هـ-540/1139-1145م): تم فيها التصادم مع جيش الدولة المرابطية والإستيلاء على مراكش وسهلها الفسيح ومعظم القلاع المرابطية، وقد غزا الموحدون بلاد السوس كما استولوا على فاس وتلمسان وتاقرارت وتمكنوا من إخضاع بني عبد الواد.

المرحلة الثانية (541-549هـ/1145-1154م): تمكن فيها الموحدون من بسط سيطرتهم على برغواطة جنوب المغرب الأقصى، واستولوا على جزائر بني مزغنة ووصلوا إلى غاية بجاية، وفي هذه المرحلة وصل وفد من الأندلس يرغب عبد المؤمن بن علي الجواز إلى الأندلس، وقد تم ذلك بناء على طلب أهل الأندلس فعبروا إليها عبر مضيق الزقاق[5].

---

3 يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 2010، صص 166-168.

4 محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص185.

5 علي محمد محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي (دولة الموحدين)، دار البيارق، عمان، الأردن، 1998، ج5، صص 113-114.

المرحلة الثالثة (549-555هـ/1154-1160م): في هذه المرحلة كانت الدولة الموحدية قد عبرت إلى الأندلس وتوسعت أكثر من أي وقت مضى، حيث بسطت وجودها على قرطبة وجيان وبعض الثغور والأمصار في الأندلس، وقد عرف تاريخ 555هـ بـ (سنة الأخماس) ففي هذه السنة بلغت الدولة الموحدية أقصى اتساعها، وبذلك تكون هذه السنة تايخا فاصلا، فقد امتدت حدودها من حدود طرابلس إلى المحيط الأطلسي تحت إمرة خليفة واحد يديرها من مراكش[6].

4- أحداث مهمة في تاريخ الدولة الموحدية:

1- ثورة إبن مردنيش: تولى محمد بن مردنيش حكم بلنسية ابتداء من سنة 542هـ/1147م وأصبح حكمه فيما بعد يشمل شرق الأندلس من بلنسية شمالا حتى قرطاجنة جنوبا[7]، واستطاع أن يحافظ على وحدة إمارته وتماسكها، ودخل في أحلاف وعهود ومواثيق مع ممالك النصارى وإماراتهم ضد الموحدين، وكانت حركة ابن مردنيش عقبة في وجه توسع الموحدين في الأندلس بغرض تخليص الوجود الإسلامي في الأندلس من خطر النصارى[8]، غير أن تعاظم قوة الموحدين حتمت على أغلب إمارات الأندلس الدخول في طاعتهم وسلموا ما بأيديهم عن طواعية أو كره منهم، وبهذا توالت النكبات على ابن مردنيش بعدما وجد نفسه وحيدا معزولا، ولم يخلصه من مأساته إلا موته المفاجئ سنة 567هـ/1171م[9].

2- ثورة إبن غانية: تولت أسرة بين غانية أعمال قرطبة والجزائر الشرقية خلال حكم الدولة المرابطية منذ سنة 541هـ/1146م، وبعد وصول الموحدين إلى بلنسية ومرسية وشاطبة وبلاد الساحل الشرقي سنة 567هـ/1171م؛ كان على بني غانية أن يحددوا موقفهم تجاه الدولة الجديدة، غير أن علي بن غانية رفض الدخول تحت طاعة الموحدين وأعلن عليهم ثورته، وقد لجأ إليه الكثير من بقايا المرابطين الذين فضلوا مجابهة الدولة الموحدية باعتبارها الدولة التي أنهت كيانهم، فكانت خطة ابن غانية غاية في الذكاء، فقد قرر أن يخرج بأسطوله ويغير على إفريقية التي كانت نواحيها

---

6 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص177/ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، صص324-382.

7 لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، صر، ط2، 1973، م2، ص298.

8 علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، صص 144-145.

9 إبن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972، ص 211/ علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، صص 144-145.

عامرة بالعرب الهلالية المستعدين دوما للإشتراك في أي عمل يفتح لهم أبواب السلب والنهب والتخريب، وكان غرضه من ذلك هو فتح جبهة جديدة أمام دولة الموحدين المنهمكين في حربهم ضد الخطر والمد النصراني في الأندلس، غير أن توقعات ابن غانية خابت حيث اهتم الخليفة الموحدي يوسف بن يعقوب المنصور لهم وأرسل إليهم الحملات وأنزل بهم الهزيمة سنة 583هـ/1187م، وفر ابن غانية وحلفاؤه من العرب والأغزاز، وهم المعروفون في تاريخ مصر والشام بالمماليك أو الترك إلى الصحراء[157].

3- موقعة الأرك (591هـ/1195م): وقعت المعركة في مكان فسيح عند حصن الأرك جنوب طليطلة بين جيش ألفونسو الثامن مدعما بجيش مملكتي ليون ونافار، وبين الجيش الموحدي بقيادة أبي يوسف يعقوب المنصور، وكان من نتائج هذه المعركة انتصار الجيش الموحدي وانحصار المد الصليبي بفرار ألوفونسو الثامن ومن معه إلى طليطلة، وقد كان لهذا الإنتصار آثارا مادية بحيث أن أموال الغنائم وزعت على الجيش واستغل الخمس الآخر في بناء مسجد جامع كبير في إشبيلية، وآثارا نفسية حيث كان أهم انتصار بعد معركة الزلاقة سنة 479هـ/1086م، هذا ما شجع الجيش الإسلامي لمزيد من الفتوحات داخل الأندلس[158].

4- موقعة العقاب (609هـ/1212م): بالرغم من أن الموحدين استطاعوا إخماد الكثير من الثورات والانتصار في الكثير من المعارك ويبقذوا حكمهم من السقوط، إلا أن معركة العقاب بين الجيش الموحدي بقيادة الخليفة الموحدي الرابع أبو محمد عبد الله الناصر وبين الجيوش الإسبانية بقيادة ألفونسو الثامن الذي عقد العزم على الأخذ بالثأر لهزيمة الأرك، فقد أخذ هذا الأخير مباركة الكنيسة البابوية واستعان بملوك قشتالة وليون ونافار وأرغون، ومعظم كبار فرسان إسبانيا النصرانية وقوات ألمانية وفرنسية وبرتغالية، وبعد أن استولت القوات الإسانية النصرانية على قلعة رباح التي كانت تحت إمرة القائد الأندلسي أبو الحجاج يوسف بن قادس، قام الخليفة الموحدي الناصر بقتله والاقتصاص منه، وعلى هذا الأساس نفر منه الأندلسيون وقرروا أن يغدروا به، ولما عسكر الجيشان في طليطلة عاصمة بلاد قشتالة وقعت تلك المعركة في مكان يسمى (لاس نافاس تولوسا) الذي أطلق عليه المؤرخون المسلمون (العُقاب).

---

157 لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، صص 311-312/ يوسف علي بدوي، المرجع السابق، صص182-184.

158 راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة إقرأ للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2011، صص588-597.

خلاصة: بعد الهزيمة النكراء للموحدين في معركة العقاب التي انهزم فيها الجيش الموحدي، عبر من تبقى منهم عبر مضيق جبل طارق فرارا بحياتهم إلى مراكش، وبعدها بأشهر قليلة توفي الناصر سنة 610هـ/1213م، وبوفاته انتهى وجودهم في بلاد الأندلس بعد سقوط إشبيلية في أيدي الإسبان غير أن دولتهم استمرت في المغرب حتى سنة 668هـ/1269م[159]، وهي السنة التي قتل فيها حاكم موحدي نُصب من قبل المرينيين أمام أسوار مراكش، فعم الخراب والدمار وكان هذا إيذانا بزوال ملك الموحدين، وقد خلفهم بنو مرين في المغرب الأقصى، وبنو نصر في الأندلس، وبنو زيان في المغرب الأوسط، وبنو حفص في المغرب الأدنى.

159 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، صص190-192/ سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي الأحول الجغرافية. الفتوح الإسلامة. قيام الإمارات والدول. الحضارة الفكرية. الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، ط1، 2004، صص166-167.

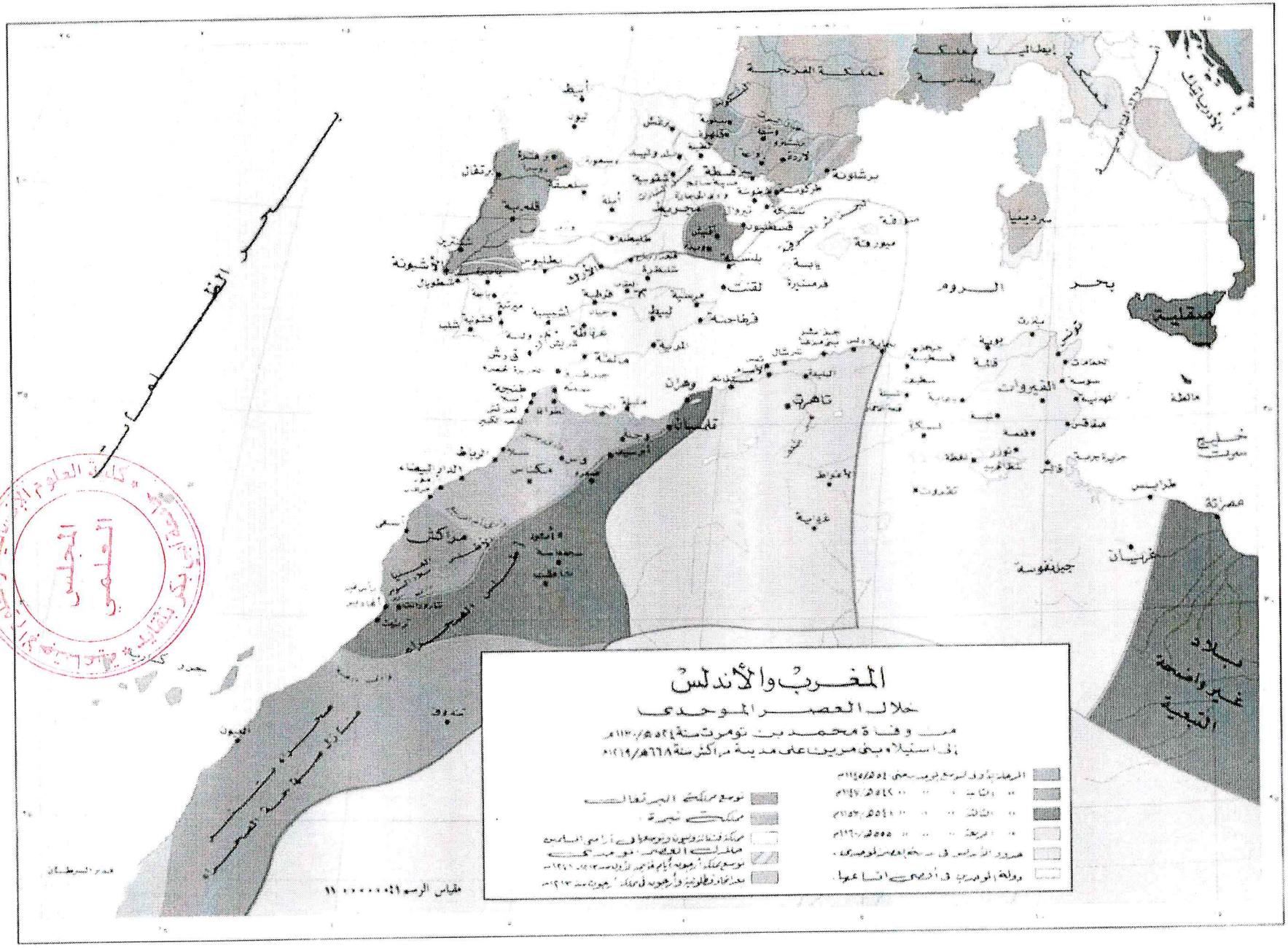
المغرب والأندلس
خلال العصر الموحدي
من وفاة محمد بن تومرت سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م
إلى استيلاء بني مرين على مدينة مراكش سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م
مقياس الرسم ١١ ٠٠٠٠٠٠٠٤١
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
بحر الروم
صقلية
مراكش
فاس
تلمسان
تونس
القيروان
تاهرت
بجاية
سبتة
طنجة
وهران
قسطنطينة
برشلونة
جنوة
بيزا
مرسيليا
جزيرة قوصة
بلاد غير واضحة التبعية
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والفنون

المحاضرة الثالثة عشر

دولة بني مرين في المغرب الأقصى وبني حفص في المغرب الأدنى

(592-957هـ/1196-1550) / (625-981هـ/1228-1573م)

تمهيد: بعد انتصار الموحدين على مملكتي قشتالة وليون في معركة الأرك (9 شعبان 591 هـ/ 18 جويلية 1195م)[1]، تراجع الضغط النصراني على الأندلس الإسلامي، مما أتاح للموحدين فرصة التفرغ لأوضاع إفريقية، التي كانت تعاني من اضطرابات بسبب العرب الهلاليين. وقد زاد الوضع سوءًا بسبب تمرد بني غانية المسوفيين، الذين كانوا من بقايا المرابطين واستقلوا بجزر البليار عن حكم الموحدين، ثم توسعوا إلى إفريقية واستقروا في بجاية، حيث تحالفوا مع العرب الهلاليين.

لم يلبث أن توفي أبو يعقوب المنصور، قائد الموحدين في "معركة الأرك"، بعد النصر بفترة قصيرة، وتولى ابنه محمد الناصر الحكم، فكرّس جهوده لاستعادة السيطرة على إفريقية والمغرب. بدأ ذلك بتوجيه حملة بحرية حاسمة ضد بني غانية في جزر البليار، حيث تمكنت قواته من إنهاء نفوذهم هناك في ربيع الأول 600 هـ/ ديسمبر 1203م.

بعد عامين من ذلك؛ وفي 2 ربيع الأول 602 هـ/ أكتوبر 1200م، استعاد الموحدون مدينتي تونس والمهدية من بني غانية وأحلافهم من بني هلال. وفي معركة قرب تاجرا، بالقرب من قابس، هُزم آخر قادة بني غانية، يحيى بن إسحاق الميورقي، لتنتهي بذلك ثورتهم فعليًا، وتعود إفريقية والمغرب الأوسط إلى سلطة الموحدين[2].

حرص محمد الناصر على تعزيز الحكم الموحدي في المنطقة، فعيّن أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص، أحد أبرز رجال الدولة الموحدية وزعيم قبيلة هنتاتة، واليًا على إفريقية، مانحًا إياه استقلالًا واسعًا في إدارة شؤونها. بدأ ابن أبي حفص حكمه بانتصار حاسم على يحيى بن إسحاق بن غانية الميورقي في تبسة بإقليم الزاب، يوم 20 ربيع الأول 604 هـ/

---

1 صالح الأشتر، معركة الأرك 591هـ/1195م، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، صص54-57.

2 الزركشي أبو عبد الله محمد، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966، صص18-19.

.19

15 أكتوبر 1207م. وقد كان هذا الانتصار بمثابة النهاية لتمرد بني غانية وعرب بني هلال، مما عزز حكم الموحدين في إفريقية والمغرب الأوسط، وأرسى دعائم سلطة أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص في المنطقة[1].

1- الدولة المرينية في المغرب الأقصى (592-957هـ/1196-1550):

ينتمي بنو مرين إلى قبيلة زناتة البربرية، وكان موطنهم الأصلي في المغرب الأوسط، لكنهم اضطروا إلى التوجه غربًا بسبب ضغط القبائل الهلالية. وعلى عكس أبناء عمومتهم من بني وطاس، رفضوا الخضوع لسلطة الموحدين، فانتقلوا جنوبًا على امتداد نهر مولوية حتى استقروا في وادي زيز شمالي تافيلالت وسجلماسة، حيث ظلوا مستقلين رغم خلافهم مع الموحدين[2].

برزت قوة بني مرين في معركة الأرك، التي انتصر فيها الموحدون على ألفونسو الثامن ملك قشتالة، وأصيب خلالها زعيمهم محبو بن حمامة بجراح قاتلة، فخلفه ابنه عبد الحق، الذي برع في القيادة والتحالف مع الموحدين، مما مكّنه من إدخال رجاله إلى المغرب الأوسط حتى نهر المولوية.

لكن هزيمة الخليفة الموحدي محمد الناصر في معركة العقاب (Las Navas de Tolosa) سنة 609هـ/ 1212م[3] كانت نقطة تحول، حيث تكبد الموحدون خسائر فادحة شملت العديد من حلفائهم، بما في ذلك بني مرين. لاحقًا، حاول الخليفة الموحدي الرشيد طرد بني مرين من الأقاليم التي سيطروا عليها شرق وادي سبو، وأرسل ضدهم جيشًا مشتركًا من الموحدين والعرب الهلاليين، لكن المرينيين انتصروا في معركة ممر تازة، رغم مقتل زعيمهم عبد الحق[4].

تولى قيادة القبيلة بعده ابنه أبو سعيد عثمان بن عبد الحق، الذي عزز مكانة بني مرين في شمال المغرب وواد سبو. وبعد وفاته، استعاد شقيقه محمد الأول بن عبد الحق السيطرة على المنطقة، وتغلب على بني زيان، مما دفعهم إلى تلمسان حيث أسسوا دولتهم. استمر التوسع المريني حتى عهد أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق (642 -656 هـ/

---

1 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، صص182-187.

2 محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العهد المريني (610هـ/1213م) -(869هـ/1465م)، دار القلم، الكويت، ط2، 1987، ص3.

3 علوه رفاعي عبد الوهاب سليمان، موقعة العقاب وبداية النهاية للحكم الإسلامي بالأندلس (609هـ/ 1212م)، **مجلة بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ج1، ع4، أفريل 2021، صص38-41.

4 يوسف علي بدوي، المرجع السابق، صص190-191.

1244 -1258م)، الذي هزم الموحدين وسيطر على فاس ومكناس، ثم امتد نفوذه إلى سواحل الأطلسي، مستوليًا على سلا والرباط، لتقوم بذلك دولة بني مرين وعاصمتها فاس.

في المقابل، استمر الموحدون في حكم جنوب المغرب الأقصى من عاصمتهم مراكش، بينما ظلت دولة بني زيان في شرق المغرب الأوسط بعاصمتها تلمسان، حيث تأسست سنة 633 هـ/ 1236م بقيادة أبي يحيى يغمراسن بن زيان، لكن المؤسس الفعلي لها كان ابنه أبو سعيد عثمان الأول (681 - 703 هـ/ 1283 - 1304 م).

استمرت دولة بني مرين حتى عام 957 هـ / 1550 م، ومرت بمراحل متباينة من القوة والضعف. في بعض الفترات، توسعوا ليشملوا جنوب المغرب، بل سيطروا على مراكش وإقليم تافيلالت. لكن تراجع نفوذهم بدأ بعد حكم السلطان العاشر أبي الحسن علي بن عثمان (732 - 749 هـ/ 1331 - 1348 م) وابنه أبي عنان فارس المتوكل (749 - 759 هـ/ 1348 - 1358م).

حكم أبي الحسن كان حافلًا بالتقلبات، وانتهى بإطاحته على يد ابنه أبي عنان، الذي جسّد طبيعة الدولة المرينية؛ فرغم عاصمتها المزدهرة فاس، ومنشآتها المعمارية العظيمة في مكناس، إلا أنها ظلت دولة زناتية بدوية الطابع، تفتقر إلى الاستقرار الإداري. ورغم ضعفها الداخلي، برزت بمشاركتها في الأندلس إلى جانب بني الأحمر، حيث قاد السلطان أبو الحسن انتصارًا ضد قشتالة في معركة جنوب قرطبة سنة 685 هـ/ 1286م.

خلاصة: إذا كان أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق هو مؤسس الدولة المرينية، فإن أبا يعقوب يوسف (سادس سلاطين بني مرين) هو من منحها مجدها الأكبر بفضل جهوده في الجهاد بالأندلس. استمر المرينيون في دعم المسلمين هناك، لكن هزيمتهم في معركة طريف (Batalla del Rio Salado) سنة 741هـ/ 1340م[1]، على يد ألفونسو الحادي عشر وحلفائه الأرغونيين، كانت بداية النهاية. فقد خسروا مدينة طريف، وأعقب ذلك سقوط جبل طارق، مما مهد الطريق لانهيار نفوذهم في الأندلس، وقادهم لاحقًا إلى التراجع أمام القوى الأوروبية المتنامية، مما أدى إلى قطع الطريق أمام بني مرين وبقية أهل المغرب لدعم غرناطة، وجعل سقوطها مسألة وقت لا أكثر. أما السلطان أبو الحسن

1 عبد الكريم حماتيت، سامية جباري، معارك المسلمين في الأندلس – معركة طريف (ريوسالادو)741 هـ/ 1340م أنموذجا، **المجلة التاريخية الجزائرية**، جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، م5، ع2، صص400-401.

فلم يعد إلى الأندلس بعد هذه الهزائم، وقضى ما تبقى من حياته في صراع مرير مع ابنه أبي عنان فارس المتوكل، الذي انتهى بإطاحته بوالده والقضاء عليه.

2- الدولة الحفصية في المغرب الأدنى (625-981هـ/1228-1573م): تولى الحفصيون الحكم في المغرب الأدني، بينما ظل الموحدون مسيطرين على المغرب الأقصى وبقية أراضي المغرب وما تبقى للمسلمين في الأندلس. وبعد فترة وجيزة، حاولت فلول بني غانية السيطرة على تلمسان، ونجحوا في دخولها، لكن أبا محمد عبد الواحد الحفصي تصدى لهم، فألحق بهم هزيمة قاسية، واستولى على معسكرهم وغنائمهم. ثم واصل انتصاراته ضد هذا التحالف الذي طالما أقلق المغرب، فحقق نصرًا حاسمًا عند جبل نفوسة.

توفي أبو محمد عبد الواحد عام 621 هـ/ 1224م، فخلفه ابنه أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص. وفي ربيع الآخر سنة 623 هـ/ أبريل 1226م، أصدر الخليفة الموحدي إدريس المأمون أمرًا بتعيين أبي عبد الله واليًا على إفريقية، وجعل الحكم في ذريته، فسار إليها برفقة أخويه، أبي زكريا يحيى وأبي عبد الله اللحياني. ويُعد هذا الحدث البداية الفعلية لنشوء دولة بني حفص في إفريقية، حيث جعلوا تونس عاصمتها. غير أن أول من استقل بها فعليًا كان أبو زكريا يحيى، الذي أعلن انفصاله عن الموحدين عام 625 هـ/ 1228م، واستمر في الحكم حتى 647 هـ/ 1249م، ليضع أسس الدولة الحفصية الجديدة[1].

رغم طول عمر الدولة الحفصية، إلا أنها لم تحقق مجدًا كبيرًا، ربما بسبب افتقارها إلى قوة عسكرية مستقلة واعتمادها على قوات مصمودية محدودة، بالإضافة إلى تجنيد المرتزقة من العرب الهلاليين والبربر، وخاصة من صنهاجة وزناتة. وكان أبو زكريا يحيى من أكفأ أمراء الدولة، إذ أعلن استقلاله التام عن الموحدين عام 626 هـ / 1229م، وحكم حتى 647هـ/ 1249م. نجح في بسط نفوذه على إفريقية وطرابلس، وخُطب له على منابر الجزائر وتلمسان وطنجة ومكناسة، بل وحتى من قبل بني مرين في بعض الفترات. اهتم بالمنشآت العلمية والثقافية، غير أن سلطانه الفعلي كان مقتصرًا على إفريقية، بينما كان نفوذه في المغرب الأوسط وطرابلس ضعيفًا ومحدودًا.

عقب وفاته، تولى ابنه أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا، الملقب بالمستنصر (647-675 هـ/ 1249-1276م)، وهو الذي تصدى للحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع على تونس، حيث توفي الملك الفرنسي في 10 محرم

1 الزركشي، المصدر السابق، ص23؛ حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص182.

669 هـ/ 11 أوت 1270م. أدى هذا الانتصار إلى شهرة المستنصر، حتى خُطب باسمه في الحجاز، ورغم ذلك، كانت قوته البحرية محدودة، مما أجبره على دفع إتاوة لشارل أنجو، أمير صقلية وشقيق لويس التاسع. ومع ذلك، حافظ على علاقات جيدة مع الجمهوريات الإيطالية ومملكة أرغون، ما ساعده على تعزيز مكانة دولته على الساحة الإقليمية، وبعد المستنصر انقسمت الدولة وشهدت صراعات متكررة على العرش، حيث استعان بعض المتنافسين بملوك أرغون، وخاصة الملك بدرو الثالث (1285-1376م)[1].

خلال معظم القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، كانت الدولة الحفصية مقسمة إلى ثلاث مناطق رئيسية: تونس، بجاية، وقسنطينة. لكن الأمير الحفصي السادس عشر، أبو العباس أحمد الثاني، الملقب بالمستنصر، تمكن من التغلب على خصومه وإعادة توحيد الدولة. حكم بين عامي 772-796 هـ/ 1370-1394م، حيث نجح في القضاء على تمردات العرب، واستعاد للدولة استقرارها وقوتها. واتبعه في الحكم ابنه أبو فارس عبد العزيز المتوكل (796-837 هـ/ 1394-1433م)، الذي حافظ على قوة الدولة واستقرارها لفترة، لكن بعد وفاته، عاد الانقسام مجددًا، وازداد النفوذ الأوروبي في المنطقة، حيث لجأ المتنافسون على العرش إلى طلب دعم القوى الأوروبية في صراعاتهم الداخلية.

خلاصة: مع تصاعد الاضطرابات، تنامت أنشطة غزاة البحر، وأصبحت الغنائم موردًا اقتصاديًا هامًا للدولة، وامتلأت موانئ إفريقية مثل الجزائر، بجاية، وتونس بالأسرى والسبايا. بحلول عام 1540 م، بدأ شارل الخامس استعداداته للسيطرة على موانئ المغرب بمساعدة المتنافسين الحفصيين على العرش، وبحلول عام 1558 م، كانت هذه الموانئ قد سقطت تحت الاحتلال الأوروبي.

تصدى العثمانيون للإسبان، ومنذ عام 1560 م، أصبحت تونس مقسمة بين الإسبان والعثمانيين، حيث دعم كل طرف أميرًا حفصيًا تابعًا له. هذا الصراع مهد الطريق لاحتلال العثمانيين لكل من الجزائر، تونس، وطرابلس، وتحويلها إلى إيالات عثمانية عام 1587 م. ومنذ ذلك الحين، لم يعد الحكام الحفصيون مستقلين، بل صاروا مجرد ممثلين للسلطان العثماني يحملون لقب "الداي."

1 الزركشي، المصدر نفسه، صص32-34.

المجلس العلمي

المحاضرة الرابعة عشر

الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م)

تمهيد: تتفق المصادر التاريخية في أن بني عبد الواد قبائل رحل ذات أصل زناتي، وأنهم كانوا بدوا رحلا يجوبون صحراء المغرب الأوسط ووصلوا في ترحالهم إلى غاية المغرب الأقصى خلال العهد المرابطي، وخلال القرن 7هـ/13م أقطعهم الموحدون بلاد بني يلومي وبني وامانو فقويت عصبيتهم وصاروا يتطلعون للسيطرة على المغرب الأوسط وكانت لهم عدة بطولات في تاريخ المغرب الإسلامي[1].

1- ظروف وعوامل قيام الدولة الزيانية:

بدأ الضعف يدب إلى جسد الدولة الموحدية بعد وفاة الخليفة يوسف المستنصر، حيث أصبح على رأس الدولة أكثر من خليفة، واضطر كل خليفة إلى الإستنجاد بعناصر من قبائل الموحدين والعرب وحتى النصارى مما ساعد على اضمحلال الدولة نتيجة الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة، وقد أدى ذلك الضعف إلى تدهور أحد ركائز الدولة والمتمثل في الجيش الذي كان في عهد قريب يتوج بانتصارات فتوحاته في المغرب الإسلامي والأندلس، وبعد توالي الهزائم على الدولة الموحدية بعد معركة (العقاب) سنة 609هـ/1212م، لم يتبق من عمرها إلا القليل حتى كان سقوطها الفعلي سنة 668هـ/1269م، وظهرت بعدها أربعة دويلات: الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، ومملكة بني الأحمر بالأندلس[2].

2- إرساء أسس وقواعد الدولة الزيانية:

---

1 إبن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، نشر خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج7، صص97-123/ لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان (633-962هـ/1235-1554م)، دار الأوطان، 2011، ص54.

2 عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية للجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، مصر، 1962، صص418-419.

عرف يغمراسن ين زيان بين قومه بالدهاء السياسي نتيجة ارتباطه بالخلافة الموحدية بمراكش، ثم انفصل عنها فيما بعد وأراد أن يؤسس لنفسه دولة خاصة به تقوم على أكتاف قبيلة بني عبد الواد، غير أن مطامع الدولة الحفصية في المغرب الأدنى صعبت من مهمته، إذ كانت سياسة التوسع على حساب الدويلات المتاخمة أمرا شائعا[1]، لقد بويع يغمراسن ين زيان سنة 633هـ/1235م وهو في عز شبابه، وكان من أشد سلاطين بني زيان حرصا على كسب الود وتحسين علاقاته مع قبائل المغرب الأوسط، كما أنه اتخذ تلسمان عاصمة لدولته الناشئة، وانتقى جيشا من قبائل زناتة وأضاف إليه عناصر مختلفة من الروم والأغزاز، وأنشأ في جهاز حكمه مجلسا وزاريا، كما اختار لديوانه بعض الأندلسيين المهاجرين حيث قربهم إليه، وأجلسهم في مجلسه مستخدما بذلك مظهرا من مظاهر الملك والسلطة[2].

لقد برزت الدولة الزيانية إلى الوجود وسعت إلى تكوين عصبية خاصة بها من خلال توحيد القبائل، فمنذ البداية سعى شيوخ قبيلة بني عبد الواد في تحقيق تلك المهمة، فقد عمل يغمراسن ين زيان على تقوية علاقته بالقبائل المجاورة له والتعاون معهم، فاستقدم قبيلة بني عامر من أوطانهم في شرق البلاد وأقطعهم أراضي حول تلمسان بغرض مساعدته في حماية الدولة فكانوا بمثابة درع واق من الهجمات الخارجية، وقد أجزل لهم العطاء والأموال وخصص لرؤسائها رواتب معتبرة حفاظا على ولائهم وطاعتهم له[3]، أما قبائل بني حميان فقد أقطعهم أراضي في الصحراء في جنوب غرب تلمسان لتكون حصنا منيعا ضد خطر بني مرين، وهناك بعض القبائل التي تم إخضاعها بالقوة والمطاولة مثل قبائل: مغراوة، بنو توجين، مليكش، وقد فرضت الدولة الزيانية على هذه القبائل بعض الضرائب مقابل منحهم بعض الإستقلالية في تسيير شؤونها الداخلية[4].

3- حدود الدولة الزيانية:

---

1 مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009، ج1، صص 9-10.

2 إبن خلدون، المصدر السابق، ص106/ أبو زكرياء يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903، صص110-116.

3 محمد مكيوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول 633 -737هـ/1236-1337م

أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان- ، 2008 ، ص09.

4 محمد مكيوي، المرجع نفسه.

نظرا لطبيعة تموقع الدولة الزيانية بين الدولة المرينية في المغرب الأقصى والدولة الحفصية في المغرب الأدنى، فطبيعي أن يكون التوسع في المجال الجغرافي ضربا من الوهم وغاية في الصعوبة، وبهذا كان صعبا عليها أن توفر لنفسها المجال الجغرافي، إذ أن جزء كبيرا من شرق المغرب الأوسط (قسنطينة، عنابة، بسكرة، تقرت) كان تحت سيطرة الدولة الحفصية، واكتفت هي بالجزء الغربي والأوسط من المغرب الأوسط متخذة في ذلك تلمسان عاصة لها، في حين أن المرينيين كانوا هم الآخرين في صراع مستمر ودائم وفي حرب سجال مع الدولة الزيانية من أجل بسط نفوذها على الأراضي المتاخمة لها، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك في عدة مرات حيث وصلت الجيوش المرينية إلى تونس والزاب وقسنطينة، كما وصلت الجيوش الحفصية إلى المدية وملیانة وتلمسان[1].

وقد لخص الحسن الوزان هذه التوسعات قائلا:"وقد استقر الملك في بني زيان ثلاثمائة سنة، غير أنهم اضطهدوا من قبل ملوك فاس، الذين احتلوا تلمسان نحو عشرات المرات حسبما جاء في التاريخ، وكان مصير ملوك بني زيان حينئذ إما القتل أو الأسر أو الفرار إلى المغارات عند جيرانهم العرب، وتعرضوا أحيانا أخرى إلى الطرد من قبل ملوك تونس[2]".

4- أزهى فترات دولة بني زيان:

يجد الدارس لتاريخ الدولة الزيانية أنها مرت بمراحل متباينة غير أن مايهمنا في هذا المقام هو عصرها الذهبي الذي ارتسمت فيه معالم الدولة وشهد تطورا ملحوظا في شتى الميادين السياسة والعلمية الثقافية والاقتصادية وغيرها...، وسنأتي في هذه الأسطر على ذكر ثلاث سلاطين على سبيل المثال لا للحصر، إذ أن صفحات هذا البحث لا تكاد تكفي للتأريخ لهذه الدولة.

✓ **السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م):** وهو مؤسس هذه الدولة وقد سبق الحديث عنه آنفا بالإضافة إلى تأسيسه الدولة الزيانية وجامع كيانها وتحصين عاصمتها تلمسان، نجد أنه قد إهتم بالحركة الفكرية من خلال اعتماده على العناصر المهاجرة من الأندلسيين، ومن مدن المغرب الأوسط كتنس مثلا.

---

1 حنيفي هلايلي، العلماء والأولياء في تلمسان الزيانية في ضوء بغية الرواد، مجلة الحوار المتوسطي، منشورات البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سيدي بلعباس، الجزائر، ع8، مارس 2015، ص199.

2 الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محم حجي ومحمد الأخضر، الرباط، المغرب، 1982، ج2، ص8.

✓ **ب- السلاطان أبو تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م):** تعد فترة حكمه طويلة بالمقارنة بالفترات التارخية التي حكمها الأمراء المتأخرون، ولقد قضى جل فترة حكمه في تعمير البلاد وبناء القصور والحصون، والقلاع وتشجييع النشاط العلمي والثقافي باستقباله لمجموعة من رجال الفكر، واهتم بالجانب المعماري الثقافي فقام بناء "المدرسة التاشفينية"[1] التي جلب إليها أمهر الفنانين والمهندسين وولى أبي عمران بن موسى المشدالي التدريس بها[2]، واهتم بالجانب الإقتصادي من خلال تشجيع المبادلات التجارية بين دولته والدول الأوروبية وبلاد الأندلس والسودان الغربي.

✓ **ج- أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م):** على الرغم من توليه حكم الدولة الزيانية في فترة حرجة تميزت بكثرة الحروب، إلا أنه لعب دورا بارزا في تطوير الحركة الفكرية والثقافية، فقرب إليه العلماء وأغدق عليهم الأموال[3] وشيد المدرسة اليعقوبية نسبة إلى والده أبي يعقوب استقدم الفقيه العلامة أبو عبد الله الشريف التلمساني للتدريس بها[4]، وقد صنف أبو حمو موسى الثاني كتابا في السياسة والآداب السلطانية سماه "واسطة السلوك في سياسة الملوك"[5].

خلاصة: دخلت الدولة الزيانية مرحلة جديدة من تاريخها، بحيث كثرت التدخلات الخارجية في شؤونها الداخلية، نتجة تموقها الجغرافي بين الدولتين الحفصية والمرينية التي تسعى كل واحدة منهما التوسع على حساب الدولة الزيانية، وفي مطلع القرن 10هـ/16م ظهر خطر آخر تمثل في تعاظم القوى النصرانية الإسبانية وزحف المد الصليبي، خصوصا بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس سنة 897هـ/1492م، بحيث وجه الإسبانيون نشاطهم لغزو بلدان المغرب الإسلامي، ونتيجة ذلك فقدت الدولة الزيانية المرسى الكبير سنة 911هـ/1505م ووهران سنة

1 لسان الدين بن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، تحقيق عدنان درويش، منشورات دار الثقافة، دمشق، سوريا، 2002، ص231.

2 التنسي أبو عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص141.

3 عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان-، 2007-2008، ص21.

4 عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص28.

5 التنسي، المصدر السابق، ص161.

914هـ/1509م وعنابة سنة 941هـ/1535م، ما اضطر أعيان مدينة الجزائر للإستعانة بالإخوة بربروس والإستنجاد بهم ضد الحملات الإسبانية، إلى غاية إلحاق الجزائر كإلية عثمانية سنة 924هـ/1519م.

المغرب في عصر بني مرين وبني عبد الواد وبني حفص
٦٦٨-٨٦٩هـ/١١١٩-١٢٦٩م ، ٦٢٥-٧٦٣هـ/١٢٢٧-١٣٦٢م ، ٧٦٣-٩٨١هـ/١٣٦٢-١٥٧٣م
دولة بني مرين في أقصى اتساعها
دولة بني عبد الواد
دولة بني حفص
مملكة تلمسان
مملكة تونس
مملكة بجاية
مملكة أرجون
حدود الممالك
البحر الأبيض المتوسط
البحر المحيط
مقياس الرسم ١:١٢٥٠٠٠٠٠

قائمة البيبليو غرافيا:

1- المصادر:

إبن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

(ـــــــ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

(ـــــــ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

إبن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1973.

إبن الخطيب لسان الدين، شرح رقم الحلل في نظم الدول، تحقيق: عدنان درويش، منشورات دار الثقافة، دمشق، سوريا، 2002.

إبن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د- ت) .

إبن خلدون أبو زكرياء يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903.

إبن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، نشر: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.

إبن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، نشر: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.

إبن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1988.

أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق: أسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1982.

أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، 1911.

التنسي أبو عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محم حجي ومحمد الأخضر، الرباط، المغرب، 1982.

الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني للنشر والتوزيع، 1994.

الزركشي أبو عبد الله محمد، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

الصنهاجي أبو بكر بن علي (البيدق)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1971.

الفاسي إبن أبي زرع، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972.

المالكي إبن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.

مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1989.

المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس،، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983.

المراكشي إبن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق: ج.س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1.

المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية للجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، مصر، 1962.

المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، درا صادر بيروت، ط2، 1906.

النويري أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج21-22، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004،

هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2001.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977.

2- المراجع:

أحمد الزاهد، الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة، مؤسست تاوالت تامغناست، (د- ت).

إدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لينان، ط1، 1985.

أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، بيروت- القاهرة، ط1، 1992.

جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د- ت).

حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1987.

حمادي الساحلي، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في العهد المرابطي، دار المعرفية الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997.

راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة إقرأ للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2011.

رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، صص17-18.

سعدون عباس نصر الله، دولة الادارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1987م.

سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

سعدون نصر الله، تاريخ العرب السّياسي في الأندلس، الطّبعة الأولى، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر، بيروت، 1998، ص26.

سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي الأحول الجغرافية. الفتوح الإسلامة. قيام الإمارات والدول. الحضارة الفكرية. الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر 2004، ص22.

السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1999.

شارل آندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تعريب محمد مزالي، مؤسسة توالت الثقافية، 2011.

صالح الأشتر، معركة الأرك 591هـ/1195م، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1991.

عبد الرحمان حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1402هـ/1981م.

عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد ادريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق: أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990.

عبد الواحد دنون طه، الفتح والإستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-897هـ/710-1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، 2002.

عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430.515هـ/1038.1021م مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

علي حسن الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، 1972.

علي حسين الشّطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة، درا قباء للطباعة والنشر والتّوزيع، القاهرة، 2001.

علي محمد الصلابي، الصراع بين أهل السنة الرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، (د-ت).

علي محمد محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي (دولة الموحدين)، دار البيارق، عمان، الأردن، 1998، ج5.

لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان (633-962هـ/1235-1554م، دار الأوطان، الجزائر، 2011.

محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي 184-296هـ/ 800-909م، تعريب: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1995.

محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص66.

محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د- ت).

محمد زينهم محمد عزب، قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2013.

محمد سعد الشيباني، تاريخ إباضية تمازغا مقدمة في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب في القرون الهجرية الأولى، مطبعة JMS Plus، تونس، 2013.

محمّد سهيل طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النّفائس، لبنان، ط1، 2005.

محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1990.

محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010.

محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ-296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987.

محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العهد المريني (610هـ/1213م) -(869هـ/1465م)، دار القلم، الكويت، ط2، 1987.

محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرت الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1985.

محمود إسماعيل، الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ/1991م.

محمود إسماعيل، الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط3، 2000.

مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009.

الناصري أبو العباس بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2: تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954.

يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 2010.

3- الأطروحات والرسائل الجامعية:

عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)**، **رسالة ماجستير**، جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان-، 2007-.

كريمة شقلاقة، نصيرة شيهب، **الدولة الحمادية (408-547هـ/1115-1156م) من خلال كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، **مذكر ماستر**، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون -تيارت-، الجزائر، 2020-2021.

محمد مكيوي، **العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول 633 - 737هـ/1236-1337م**، **أطروحة دكتوراه**، جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان- ، 2008.

4- المقالات العلمية:

حنيفي هلايلي، العلماء والأولياء في تلمسان الزيانية في ضوء بغية الرواد، **مجلة الحوار المتوسطي**، منشورات البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سيدي بلعباس، الجزائر، ع8، مارس 2015.

عبيد بوداود، ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي (120-132هـ) وتداعياتها، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، جامعة معسكر، عدد خاص، أفريل 2008.

إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع19، أفريل 1974، صص331-362.

سامية بوصيغه، حكام الإمارة الأغلبية وإنجازاتهم في إفريقية (184-296هـ/800-909م)، **مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية**، جامعة العربي التبسي تبسة (الجزائر)، م9، ع1، أفريل 2024، صص377-383.

عبد الكريم حماتيت، سامية جباري، معارك المسلمين في الأندلس – معركة طريف (ريوسالادو)741 هـ/ 1340م أنموذجا، **المجلة التاريخية الجزائرية**، جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، م5، ع2، صص399-414.

علوه رفاعي عبد الوهاب سليمان، موقعة العقاب وبداية النهاية للحكم الإسلامي بالأندلس (609هـ/ 1212م)، **مجلة بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ج1، ع4، أفريل 2021، صص38-56.

محمد بن عميرة، القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى، **حولية المؤرخ**، اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع1، 2002.

أحمد سعودي، الحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد، **مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين (الجزائر)، م5، ع2، 2021، صص136-160.

المجلس العلمي